

﴿يَقُومَنَّ أَحِبُّوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾



كِتَابُ
لِيُتَكَ تَسْلَمَ

Yayında Mihenk Tazı

الغراباء
guraba

طبعة في بيروت

حقوق الطبع محفوظة

إلا لمن أراد طبعه لتوزيعه مجاناً
والله المستعان

ISBN: 978-605-2107-77-5

الطبعة الثالثة

١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٥ م



GURABA YAYINCILIK TİC. LTD. ŞTİ.



الدار الأثرية للطباعة والنشر والتوزيع والحفظة



Başakşehir Mh. Sabahattin Zaim Cad.

Life Park Evi No: 8/G

Başakşehir / İstanbul



مكتبة الغراباء

(+90) 212 526 06 05



@guraba_arabic

(+90) 536 065 04 04



@guraba_arabic

guraba@hotmail.com



guraba_arabic

www.alguraba.com



BASKI: Step Ajans: İnönü Cad. No: 78
Bağcılar / İstanbul Yayın Sertifika No: 45522

کتابُ
لَيْتَكَ تَسْلَمُ

جَمَعَهُ
علي خليل

الغراباء
guraba





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمَا تَقْتُلْنَا مِنْكَ إِلَّا كَمَا نَشَاءُ لِنَمُنِّعَ الْعَالَمِينَ﴾

وَلَقَدْ هَمَمْنَا أَنْ نَقُولَ لَكَ نَفْسُكَ وَفَارِسُكَ وَرَأْسُكَ وَنَافِثُكَ
وَلَنَجْعَلَ لَكَ خَلْفَكَ خَلْفًا
لَكَ

يُهْدَى وَلَا يُبَاغِ
ثَوَابًا لَوَالِدَيْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ



مُقَدِّمَةٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَاتَمِ
الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَقُدُوةِ الصَّالِحِينَ وَالْعَابِدِينَ فِي كُلِّ
مَكَانٍ وَحِينٍ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَصَحْبِهِ الْغُرِّ
الْمَيَامِينِ، وَمَنْ وَالَاهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَبَعْدُ:

اِفْتَدَى السَّلَفُ الصَّالِحُ ﷺ فِيَمَا مَضَى بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ
وَتَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِهِ، وَامْتَثَلُوا أَوَامِرَهُ، وَانْتَهَوْا عَمَّا نَهَى عَنْهُ، وَكَانُوا
كَمَا قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ ﷺ: بَلَّغْنِي أَنْ النَّصَارَى كَانُوا إِذَا رَأَوْا
الصَّحَابَةَ الَّذِينَ فَتَحُوا الشَّامَ، قَالُوا: وَاللَّهِ! لَهُوْلَاءِ خَيْرٌ مِنْ
الْحَوَارِيِّينَ فِيَمَا بَلَّغْنَا^(١).

هَذِهِ رِسَالَةٌ جَمَعْتُ فِيهَا أَقْوَالَ وَحِكَمًا وَأَحْدَاثًا مِنْ أَمَاتِ

(١) «تفسير القرآن العظيم»: ١٧٥ / ٤، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن
عمر بن كثير القرشي الدمشقي، متوفى ٧٧٤هـ.

الْكُتُبِ؛ لِنَفْسِي أَوَّلًا، ثُمَّ لِإِخْوَانِي الْأَحِبَّةِ لِيَتَّعِظَ مِنْهَا وَنَعْمَلَ
بِهَا؛ لِأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ عَمَلٍ لِلْآخِرَةِ، وَالْآخِرَةُ دَارُ الْقَرَارِ.

قِيلَ: إِنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ خَرَجَ إِلَى حَاتِمِ الْأَصَمِّ، وَرَحَّبَ
بِهِ، وَقَالَ لَهُ: كَيْفَ التَّخَلُّصُ مِنَ النَّاسِ؟ قَالَ:

أَنْ تُعْطِيَهُمْ مَالَكَ، وَلَا تَأْخُذَ مِنْ مَالِهِمْ، وَتَقْضِيَ
حُقُوقَهُمْ، وَلَا تَسْتَقْضِيَ أَحَدًا حَقَّكَ، وَتَحْتَمِلَ مَكْرُوهَهُمْ،
وَلَا تُكْرِهَهُمْ عَلَى شَيْءٍ، وَلَيْتَكَ تَسْلَمُ^(١).

لَيْتَكَ تَسْلَمُ! وَمِنْهَا كَانَ اسْمُ هَذِهِ الرَّسَالَةِ.

أَسْأَلَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ عَمَلِي خَالِصًا لِرُؤُوسِهِ الْكَرِيمِ،
وَأَنْ يَقْبَلَهُ مِنِّي، وَيَنْفَعَ بِهِ الْمُسْلِمِينَ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

علي خليل

٢٠٢٠/٨/٣٠ م

١٤٤٢/١/١١ هـ

(١) «سير أعلام النبلاء»: ٤٨٧/١١، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن
عثمان الذهبي التركماني، متوفى ٧٤٨ هـ.



١- سُوقُ الْإِخْلَاصِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

عن أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتَغَى بِهِ وَجْهَهُ» ^(١).

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: سُوقُ الْإِخْلَاصِ.. رَائِجَةٌ لَيْسَ فِيهَا كَسَادٌ ^(٢).

وَكَانَ الْوَاعِظُ الزَّاهِدُ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ رضي الله عنه يَقُولُ: الْمُخْلِصُ مَنْ يَكْتُمُ حَسَنَاتِهِ، كَمَا يَكْتُمُ سَيِّئَاتِهِ ^(٣).
وَقَالَ ابْنُ قَيِّمٍ الْجَوْزِيَّةُ رضي الله عنه: إِذَا لَمْ تُخْلِصْ؛ فَلَا تَتَعَبْ ^(٤).

(١) رواه النسائي ٣١٤٠.

(٢) «اللطائف»، ص ١٩، للإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي القرشي البغدادي المعروف بابن الجوزي، متوفى ٥٩٧ هـ.

(٣) «تنبيه المغترين» أواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر: ص ٢٧، تأليف: الإمام القطب أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشافعي الشعرائي، متوفى ٩٧٣ هـ.

(٤) «بدائع الفوائد»: ص ١٨٠، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١ هـ.

٢- كِتْمَانُ الْعَمَلِ أَفْضَلُ مِنْ إِظْهَارِهِ

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ، بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ، فَتَقَبَّتْ أَقْدَامُنَا، وَتَقَبَّتْ قَدَمَايَ، وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي، وَكُنَّا نُلْفُ عَلَى أَرْجُلِنَا الْخِرْقَ، فَسُمِّيتْ: غَزْوَةُ ذَاتِ الرَّقَاعِ، لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ مِنَ الْخِرْقِ عَلَى أَرْجُلِنَا.

وَحَدَّثَ أَبُو مُوسَى بِهَذَا، ثُمَّ كَرِهَ ذَلِكَ، قَالَ: مَا كُنْتُ أَصْنَعُ بِأَنْ أَذْكُرَهُ، كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِنْ عَمَلِهِ أَفْشَاهُ ^(١).

قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: إنهم عندما خرجوا مع النبي ﷺ في إحدى الغزوات، وكانوا ستة أشخاص ومعهم بعير، يعتقبونه؛ أي: يركبه كل واحد منهم على التناوب، فتقبت أقدامهم أي: جرحت وسقطت أظفارهم من الحفأ، فكانوا يلفون على أرجلهم الخرق حماية لها، ولذلك سُميت بغزوة ذات الرقاع.

(١) متفق عليه. «أخرجه البخاري»: ٤١٢٨، و«مسلم»: ١٨١٦.

ذَكَرَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رضي الله عنه صَنَعَهُ ثُمَّ كَرِهَ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ
مِنْ عَمَلِهِ قَدْ أَفْشَاهُ وَأَظْهَرَهُ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ كِتْمَانَ الْعَمَلِ أَفْضَلُ
مِنْ إِظْهَارِهِ، إِلَّا لِمَصْلَحَةٍ نَافِعَةٍ تَقْتَضِي بَيَانَ الْعَمَلِ كَأَنْ يَكُونَ
مِمَّنْ يُقْتَدَى بِهِ.

٣- امْرَأَةٌ أَعْظَمَ بَرَكَهَ

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها قَالَتْ: لَمَّا قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ سَبَايَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ، وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ فِي
السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، أَوْ لِابْنِ عَمٍّ لَهُ، فَكَاتَبَتْهُ
عَلَى نَفْسِهَا.

وكَانَتْ امْرَأَةً حُلُوءَةً مُلَاحَةً لَا يَرَاهَا أَحَدٌ إِلَّا أَخَذَتْ بِنَفْسِهِ،
فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَسْتَعِينُهُ فِي كِتَابَتِهَا.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَوَ اللَّهِ! مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا فَكَرِهْتُهَا.
وَقُلْتُ: سِيرِي مِنْهَا مِثْلَمَا رَأَيْتُ.

فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ!

أَنَا جُوَيْرِيَّةُ بِنْتُ الْحَارِثِ سَيِّدِ قَوْمِهِ، وَقَدْ أَصَابَنِي مِنَ
الْبَلَاءِ مَا لَمْ يَخَفْ عَلَيْكَ، وَقَدْ كَاتَبْتُ عَلَى نَفْسِي فَأَعِنِّي
عَلَى كِتَابَتِي.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«أَوْ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ، أُودِّي عَنْكَ كِتَابَتُكَ وَأَتَزَوَّجُكَ».

فَقَالَتْ: نَعَمْ. فَفَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

فَبَلَغَ النَّاسَ أَنَّهُ قَدْ تَزَوَّجَهَا.

فَقَالُوا: أَضْهَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَرْسَلُوا مَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ
بَنِي الْمُصْطَلِقِ؛ فَلَقَدْ أُعْتِقَ بِهَا مِئَةُ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ.
فَمَا أَعْلَمُ امْرَأَةً أَعْظَمَ بَرَكَهَ مِنْهَا عَلَى قَوْمِهَا^(١).

(١) «السنن الكبرى»: ٩/ ٧٤، للبيهقي صحيح ثابت، وأخرجه أبو داود: ٣٩٣١.



٤- اللِّسَانُ وَالصَّمْتُ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»^(١).

عن أسلم مولى عمر بن الخطاب: أَنَّ عمرَ دخل يوماً على أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه وهو يجبذ لسانه -يمسك لسانه ويشدّه-، فقال عمر: مه؟! غفر الله لك! فقال له أبو بكرٍ: إِنَّ هذا أوردني الموارد^(٢).

وَعَنْ وَهَيْبِ بْنِ الْوَرْدِ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ يُقَالُ: الْحِكْمَةُ عَشْرَةُ أَجْزَاءٍ: فَتِسْعَةٌ مِنْهَا فِي الصَّمْتِ، وَالْعَاشِرَةُ عَزْلَةُ النَّاسِ^(٣).
وَقَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رحمته الله: مَنْ حَفِظَ لِسَانَهُ لِأَجْلِ

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري ٦٤٨٧، ومسلم ٢٩٨٨.

(٢) «العلل ومعرفة الرجال»، ١٧٨٥، للإمام أحمد بن حنبل، متوفى ٢٤١.

(٣) «الصمت»: ص ٦٢، لأبي بكر عبد الله القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، متوفى

الله تَعَالَى فِي الدُّنْيَا أَطْلَقَ اللهُ لِسَانَهُ بِالشَّهَادَةِ عِنْدَ الْمَوْتِ،
وَلِقَاءِ اللهِ تَعَالَى ^(١).

هـ - فَضْلُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَتَقَيَّنُ
فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةٌ أَبِي بَكْرٍ» ^(٢)، وَالْخَوْخَةُ أَيُّ:
الْبَابِ الصَّغِيرِ، وَإِنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ فَتَحُوا أَبْوَابًا مِنْ دِيَارِهِمْ
إِلَى الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ، فَأَمَرَ ﷺ بِسَدِّهَا كُلِّهَا إِلَّا بَابَ
أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ لِيَتَمَيَّزَ بِذَلِكَ فَضْلُهُ، وَفِي هَذَا مَنْقَبَةٌ عَظِيمَةٌ
لَأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قَالَ الْإِمَامُ الْمُفَسِّرُ؛ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَنْ قَالَ: إِنَّ
أَبَا بَكْرٍ لَمْ يَكُنْ صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَهُوَ كَافِرٌ لِإِنْكَارِهِ نَصِّ
الْقُرْآنِ. وَفِي سَائِرِ الصَّحَابَةِ إِذَا أَنْكَرَ يَكُونُ مُبْتَدِعًا، لَا يَكُونُ

(١) «بحر الدموع»: ص ٢٠٣، للإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي القرشي البغدادي المعروف بابن الجوزي، متوفى ٥٩٧ هـ.

(٢) متفق عليه. «أخرجه البخاري»: ٣٩٠٤، و«مسلم»: ٢٨٣٢، باختلاف يسير.

٦- «فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ»

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ؛ فَذَهَبَ وَهَلِي - أَيُّ: ظَنِّي - إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ - بَلَدٌ مَعْرُوفٌ مِنَ الْبَحْرَيْنِ - فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ، وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا فَأَنْقَطَعَ صَدْرُهُ، فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ بِأُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَأَيْتُ فِيهَا بَقْرًا، وَاللَّهُ خَيْرٌ، فَإِذَا هُمْ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَإِذَا الْخَيْرُ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ وَثَوَابِ الصَّدَقِ، الَّذِي آتَانَا اللَّهُ بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ»^(٢).

(١) «نزهة الناظرين في الأخبار والآثار المروية عن الأنبياء والصالحين»، ص ٨٤،

لتقي الدين عبد الملك الحلبي الشافعي، متوفى ٨٣٩هـ.

(٢) «صحيح البخاري»: ٣٦٢٢.

٧- فِرَّ مِنَ النَّاسِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «مَنِ التَّمَسَّ رِضَا اللَّهِ بَسَخَطِ النَّاسِ كِفَاهُ اللَّهِ مَوْنَةَ النَّاسِ، وَمَنِ التَّمَسَّ رِضَا النَّاسِ بَسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ»^(١).

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ الصَّرَفِيِّ قَالَ: جَاءَ أَبُو الرَّبِيعِ الْأَعْرَجُ إِلَى دَاوُدَ الطَّائِيِّ مِنْ وَاسِطٍ لِيَسْمَعَ مِنْهُ شَيْئًا وَيَرَاهُ.

فَأَقَامَ عَلَى بَابِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا يَصِلُ الْيَدُ. قَالَ: وَكَانَ إِذَا سَمِعَ الْإِقَامَةَ خَرَجَ فَإِذَا سَلَّمَ الْإِمَامُ وَثَبَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ.

قَالَ: فَصَلَّيْتُ فِي مَسْجِدٍ آخَرَ، ثُمَّ جِئْتُ فَجَلَسْتُ عَلَى بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ لِيَدْخُلَ الدَّارَ قُلْتُ: ضَيْفُ رَحِمَكَ اللَّهُ. قَالَ: إِنْ كُنْتُ ضَيْفًا فَادْخُلْ، فَدَخَلْتُ فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ ثَلَاثَ أَيَّامٍ لَا يَكَلِّمُنِي، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ثَلَاثٍ، قُلْتُ: رَحِمَكَ اللَّهُ أَتَيْتُكَ مِنْ وَاسِطٍ وَإِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ تُزَوِّدَنِي شَيْئًا.

(١) «سنن الترمذي»: ٢٤١٤، وصححه الألباني.

قَالَ: صُمِ الدُّنْيَا وَاجْعَلْ فِطْرَكَ الْمَوْتَ. قُلْتُ: زِدْنِي رَحِمَكَ اللَّهُ. قَالَ: فِرٌّ مِنَ النَّاسِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ، غَيْرَ طَاعِنٍ عَلَيْهِمْ وَلَا تَارِكٍ لِحِمَامَتِهِمْ. قَالَ: فَذَهَبْتُ أَسْتَزِيدُهُ فَوَثِبَ إِلَى الْمِحْرَابِ وَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ^(١).

٨- اجْتَهِدْ بَعْضَهُمْ

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رحمته الله: وَقَدْ اجْتَهِدَ الصَّحَابَةُ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْكَامِ وَلَمْ يُعْنَفْهُمْ، كَمَا أَمَرَهُمْ يَوْمَ الْأَحْزَابِ أَنْ يُصَلُّوا الْعَصْرَ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، فَاجْتَهِدَ بَعْضُهُمْ وَصَلَّاهَا فِي الطَّرِيقِ، وَقَالَ: لَمْ يَرِدْ مِنَّا التَّأْخِيرُ، وَإِنَّمَا أَرَادَ سُرْعَةَ النُّهُوضِ، فَنَظَرُوا إِلَى الْمَعْنَى، وَاجْتَهِدَ آخَرُونَ وَأَخَّرُوهَا إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَصَلُّوهَا لَيْلًا، نَظَرُوا إِلَى اللَّفْظِ، وَهَؤُلَاءِ سَلَفُ أَهْلِ الظَّاهِرِ، وَهَؤُلَاءِ سَلَفُ أَصْحَابِ الْمَعْنَى وَالْقِيَاسِ^(٢).

(١) «صفة الصفوة»، ٣/ ٨٧-٨٨، تصنيف الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد

الرحمن ابن الجوزي القرشي البغدادي، متوفى ٥٩٧هـ.

(٢) «إعلام الموقعين»، ١/ ١٥٦، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب

ابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.

١- أَخَافُ أَنْ يَجْنِي عَلَيَّ حُمَقِي

حَكَى الْأَصْمَعِيُّ رحمه الله قَالَ: قُلْتُ لِغُلَامٍ حَدَّثَ مِنْ أَوْلَادِ
الْعَرَبِ كَانَ يُحَادِّثُنِي، فَأَمْتَعَنِي بِفَصَاحَةٍ وَمَلَا حَةٍ: أَيْسُرُكَ أَنْ
يَكُونَ لَكَ مِئَةُ أَلْفٍ دِرْهَمٍ وَأَنْتَ أَحْمَقُ؟

قَالَ: لَا وَاللَّهِ، قَالَ: فَقُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: أَخَافُ أَنْ يَجْنِيَ
عَلَيَّ حُمَقِي جِنَايَةً تَذْهَبُ بِمَالِي، وَيَبْقَى عَلَيَّ حُمَقِي.

فَانْظُرْ إِلَى هَذَا الصَّبِيِّ كَيْفَ اسْتَخْرَجَ بِفَرْطِ ذَكَائِهِ،
وَاسْتَنْبَطَ بِجُودَةٍ قَرِيحَتِهِ، مَا لَعَلَّهُ يَدُقُّ عَلَى مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ
سِنًا، وَأَكْثَرُ تَجَرِبَةً ^(١).

١- السَّعَادَةُ التَّامَّةُ

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ الْأَنْدَلُسِيُّ: إِذَا نَامَ الْمَرْءُ خَرَجَ عَنِ الدُّنْيَا،
وَنَسِيَ كُلَّ سُورٍ، وَكُلَّ حُزْنٍ. فَلَوْ رَتَّبَ نَفْسَهُ فِي يَقَظَتِهِ عَلَى

(١) «أدب الدنيا والدين»: ص ٩، لأبي الحسن الماوردي، متوفى ٤٥٠ هـ.

ذَلِكَ أَيْضًا؛ لَسَعِدَ السَّعَادَةِ التَّامَّةِ^(١).

وقال: مَنْ طَلَبَ الْفَضَائِلَ لَمْ يَسَايِرْ إِلَّا أَهْلَهَا، وَلَمْ يُرَافِقْ فِي تِلْكَ الطَّرِيقِ إِلَّا أَكْرَمَ صَدِيقٍ مِنْ أَهْلِ الْمَوَاسَاةِ، وَالْبِرِّ، وَالصَّدْقِ، وَكِرَمِ الْعَشِيرَةِ، وَالصَّبْرِ، وَالْوَفَاءِ، وَالْأَمَانَةِ، وَالْحِلْمِ، وَصِحَّةِ الْمَوَدَّةِ^(٢).

١١ - شَوْقٌ إِلَى الْأَوْطَانِ

قَالَ أَعْرَابِيٌّ: إِذَا أُرِدْتَ أَنْ تَعْرِفَ وَفَاءَ الرَّجُلِ، وَدَوَامَ عَهْدِهِ، فَانْظُرْ إِلَى حَنِينِهِ إِلَى أَوْطَانِهِ، وَشَوْقِهِ إِلَى إِخْوَانِهِ، وَبُكَائِهِ عَلَى مَا مَضَى مِنْ زَمَانِهِ^(٣).

(١) «الأخلاق والسير في مداواة النفوس»، ص ٨٥، للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، متوفى ٤٥٦ هـ.

(٢) «الأخلاق والسير في مداواة النفوس»، ص ١٠، للإمام أبي محمد علي بن أحمد ابن حزم الأندلسي، متوفى ٤٥٦ هـ.

(٣) «العقد الفريد» ٤/ ٣١، لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، متوفى ٣٢٨ هـ.

قِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ: بِأَيِّ شَيْءٍ يُعْرَفُ وَفَاءُ الرَّجُلِ دُونَ
تَجَرِبَةٍ وَاجْتِبَارٍ؟ قَالَ: بِحَنِينِهِ إِلَى أَوْطَانِهِ، وَتَلَهُّفِهِ عَلَى مَا
مَضَى مِنْ زَمَانِهِ ^(١).

١٢- فَلَا تَطْلُ الْقُعُودَ عِنْدَهُ

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله:
«أَطْعِمُوا الْجَائِعَ، وَعُودُوا الْمَرِيضَ، وَفُكُّوا الْعَانِي» ^(٢).

أَمَرَ صلّى الله عليه وآله بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، أَي: زِيَارَتِهِ، وَالْعِيَادَةُ أَنْ تَعُودَ
إِلَيْهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، وَتُسَلِّيَ الْمَرِيضَ وَتُرَوِّحَ عَنْهُ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدٌ: سَمِعْتُ أَبَا الْأَسَدِ مُحَمَّدَ بْنَ حَفْصِ
جَارَ بَشْرٍ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى بَشْرِ بْنِ الْحَارِثِ وَهُوَ مَرِيضٌ.
فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَوْصِنِي؟

(١) «الآداب الشرعية والمنح المرعية»، ص ٥٣٥، للإمام الفقيه المحدث عبد الله

محمد بن مفلح المقدسي، متوفى ٧٦٣ هـ.

(٢) «صحيح البخاري»: ٥٣٧٣.

قَالَ: إِذَا دَخَلْتَ عَلَى مَرِيضٍ فَلَا تُطِلْ الْقُعُودَ عِنْدَهُ^(١).

١٣- لَمْ أَرْحَلْ لِأَبْصِرَ الْفَيْلَ

حُكِيَ عَنِ الْحُمَيْدِيِّ أَنَّهُ كَانَ فِي مَجْلِسِ مَالِكٍ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ قَائِلٌ: قَدْ حَضَرَ الْفَيْلُ، فَخَرَجُوا وَلَمْ يَخْرُجْ، فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ: مَا لَكَ لَمْ تَخْرُجْ لِتَنْظُرَ إِلَى الْفَيْلِ، وَهُوَ لَا يَكُونُ فِي بِلَادِكَ؟

فَقَالَ لَهُ: لَمْ أَرْحَلْ لِأَبْصِرَ الْفَيْلَ، وَإِنَّمَا رَحَلْتُ لِأَشَاهِدَكَ وَأَتَعَلَّمَ مِنْ عِلْمِكَ وَهَدْيِكَ، فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ مِنْهُ، وَسَمَّاهُ عَاقِلَ الْأَنْدَلُسِ^(٢).

(١) «تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها»: ٩٩/٣، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، متوفى ٤٦٣هـ.

(٢) «سير أعلام النبلاء»: ٣١٨/١، للإمام الحافظ شمس الدين محمد الذهبي. متوفى ٧٤٨هـ. المقصود في هذه القصة هو: أبو محمد يحيى بن يحيى ابن كثير الليثي الأندلسي القرطبي، الذي روى «الموطأ» عن مالك بن أنس.

١٤- إِنَّمَا أَبُكِي لِأَنِّي لَمْ أَتَفَقَّدْ حَالَهُ

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: جَاءَ رَجُلٌ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ إِلَى بَيْتِ صَدِيقٍ لَهُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ؟
 قَالَ: عَلَيَّ أَرْبَعُمِائَةِ دِرْهَمٍ، فَدَخَلَ الدَّارَ فَوَزَنَهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَأَعْطَاهُ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الدَّارِ بَاكِئًا، فَقَالَتْ زَوْجَتُهُ: هَلَّا تَعَلَّلْتَ عَلَيْهِ، إِذَا كَانَ إِعْطَاؤُهُ يُشْقُّ عَلَيْكَ؟
 فَقَالَ: إِنَّمَا أَبُكِي لِأَنِّي لَمْ أَتَفَقَّدْ حَالَهُ، فَاحْتَاجَ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ^(١).

١٥- السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ سُبُكْتِكِينُ

أَمْسَى مَرْكَزَ قِيَادَةِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ يَتَّقِلُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ، فَمِنْ دِمَشْقَ إِلَى بَغْدَادَ وَمِنْهُ إِلَى حَلَبَ وَالْأَنْدَلُسَ ثُمَّ غَزَنَةً فِي أَفْغَانِسْتَانَ، فَتَارَةً كَانَتْ الْقِيَادَةُ أُمُويَّةً وَتَارَةً عَبَّاسِيَّةً وَتَارَةً تُرْكِيَّةً.

(١) «التبصرة»: ٢/ ٢٧٩، تصنيف الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن

ابن الجوزي القرشي البغدادي متوفى، ٥٩٧ هـ.

ظَهَرَت الدَّوْلَةُ الْغَزْنَويَّةُ فِي غَزْنَةِ بِقِيَادَةِ سُبُكْتِكِينَ التُّرْكِيِّ،
كَانَ يَتَمَتَّعُ بِهَيْمَةٍ عَالِيَةٍ وَطُمُوحٍ عَظِيمٍ فَبَسَطَ نُفُوذَهُ عَلَى الْبِلَادِ
الْمُجَاوِرَةِ وَسَيَّطَرَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمَعَاqِلِ وَالْحُصُونِ فِي
أَطْرَافِ الْهِنْدِ جَنُوبَ غَرْبِي آسِيَا، وَاسْتَمَرَّتْ نَحْوَ مِائَتَيْ عَامٍ
أَي: مِنْ (٩٦١م إِلَى ١١٨٧م)، ثُمَّ تَوَلَّى بَعْدَ وَفَاةِ سُبُكْتِكِينَ
ابْنُهُ السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ سُبُكْتِكِينَ الْمُلقَّبُ بِيَمِينِ الدَّوْلَةِ وَمُحَطَّمِ
الْأَصْنَامِ وَيَمِينِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (الْخَلِيفَةِ الْقَادِرِ بِاللَّهِ)، وَوُلِدَ فِي
عَامِ (٩٧١م) فِي غَزْنَةِ فِي عَصْرِ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، وَتَوَلَّى
الْعَرْشَ مِنْ (عَامِ ٩٩٨م إِلَى عَامِ ١٠٣٠م)، وَحَقَّقَتْ إِمَارَتُهُ
قَفْزَةً هَائِلَةً وَذَاعَ صِيَّتُهُ وَفَتَحَ مَسَاحَاتٍ وَاسِعَةً وَأَصْبَحَتْ
دَوْلَتُهُ بِلَا مُنَازَعٍ ذَاتَ مَكَانَةٍ وَهَيْبَةٍ عَسْكَرِيَّةٍ.

صَادَفَ فِتْرَةً حُكْمِهِ زَمَنُ تَصَارُعِ الْأَفْكَارِ وَالْمَذَاهِبِ
الْإِسْنِي عَشْرِيَّةٍ وَالْإِسْمَاعِيلِيَّةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَالرَّافِضِيَّةِ وَغَيْرِهِنَّ.

أَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ الْعَبَّاسِيُّ الْقَادِرُ بِاللَّهِ رِسَالَةً إِلَى السُّلْطَانِ
مُحَمَّدٍ يَأْمُرُهُ بِبُتِّ السُّنَّةِ فِي جَمِيعِ الْأَقَالِيمِ التَّابِعَةِ لِلدَّوْلَةِ
الْغَزْنَويَّةِ، فَنَكَّلَ بِالْإِسْمَاعِيلِيَّةِ وَالْقَرَامِطَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَالرَّافِضِيَّةِ

وَنَفَاهُمْ وَأَمَرَ بِلَعْنِهِمْ عَلَى الْمَنَابِرِ، وَأَبْعَدَ أَهْلَ الْبِدْعِ مِنَ
 الْمَدَارِسِ وَالْمَسَاجِدِ، وَشَدَّدَ السُّلْطَانُ مَحْمُودُ سِيَاسَتَهُ الدِّينِيَّةَ
 إِزَاءَ الْفِرْقِ الشَّيْعِيَّةِ الْبُؤْيَهِيَّةِ فِي فَارِسَ وَضِدَّ الْفِرْقِ وَالطَّوَائِفِ
 الدِّينِيَّةِ الْأُخْرَى فِي الرِّيِّ وَهَمَذَانَ وَأَصْبَهَانَ، وَنَكَلَ بِأَصْحَابِ
 الْأَهْوَاءِ الْخَارِجِينَ عَلَى الدِّينِ، وَصَلَبَ مِنْ فِرْقِ الْبَاطِنِيَّةِ
 وَنَفَى الْمُعْتَرِلَةَ وَأَحْرَقَ كُتُبَ الْفَلَاسِفَةِ وَالرَّافِضَةِ، وَاسْتَخَدَمَ
 الْعِيُونَ وَالْجَوَاسِيسَ لِيَكْشِفَ عَنِ الْبَاطِنِيِّينَ الْمُتَسَتِّرِينَ،
 فَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّ قَوْمًا يَنْتَحِلُونَ بَدْعَوَةَ الْبَاطِنِيَّةِ، فَعَثَرَ عَلَيْهِمْ فِي
 خُرَاسَانَ وَحَمَلُوهُمْ إِلَى غَزَنَةَ وَقَتَلُوهُمْ.

تَوَسَّعَ السُّلْطَانُ مَحْمُودُ نَحْوَ مَشْرِقِ الْبِلَادِ، وَكَانَ الْهَدَفُ
 مِنَ التَّوَسُّعِ ضَمُّ الْإِمَارَاتِ الْمَحَلِّيَّةِ الْمُجَاوِرَةِ تَحْتَ حُكْمِهِ
 بُغْيَةً إِخْضَاعِهَا لِسَيْطَرَتِهِ؛ لِتَأْمِينِ ظَهْرِ الْبِلَادِ وَضَمَانِ حُدُودِهَا
 مِنَ الْعَمَلِيَّاتِ الْمُعَادِيَةِ عِنْدَ انْشِغَالِهِ بِالْفَتْوحَاتِ الْكَبِيرَةِ فِي
 شِبْهِ الْقَارَةِ الْهِنْدِيَّةِ، وَمِنْ فُتُوحَاتِهِ فَتَحَ إِمَارَةَ خُرَاسَانَ سَنَةَ
 (٣٨٩هـ)، وَإِمَارَةَ سَجِسْتَانَ سَنَةَ (٣٩٣هـ)، وَمَدِينَةَ بَهَائِيَّةِ
 (٣٩٥هـ)، وَغَرَجِسْتَانَ وَخَوَارِزْمَ وَجَرَجَانَ وَطَبْرِسْتَانَ



وَجُوزْجَانِ وَبِلَادِ الْغُورِ.

أَسَّسَ السُّلْطَانُ مُحَمَّدٌ جَيْشًا قَوِيًّا مِنْ عِدَّةِ أَجْنَاسٍ مِنْ
أَهْلِ الْبِلَادِ الْوَاقِعَةِ تَحْتَ نُفُوذِهِ، لِتَجَنَّبَ مَخَاطِرَ التَّخْرِيبِ
وَالْفَسَادِ وَحِفْظَ الْمُوَازَنَةِ بَيْنَ الْجَيْشِ، فَكُلُّ جِنْسٍ مِنْ جُنُودِهِ
يُقَاتِلُ بِشَجَاعَةٍ حِفْظًا عَلَى سُمْعَتِهِ وَخَوْفًا مِنَ الْعَارِ وَالْهَزِيمَةِ
كَيْ لَا يَعْيبَهُ الْجِنْسُ الْآخَرُ بِالْوَهْنِ وَالتَّقَاعُسِ، وَمِنْ هَذِهِ
الْأَجْنَاسِ الْمُجَنَّدَةِ التُّرْكُ وَالْعَرَبُ وَالْغُورِيُّونَ وَالْأَفْغَانُ
وَالْهُنُودُ، وَكَانَ يَتِمُّ اخْتِيَارُ الْجُنُودِ بِحَسَبِ الْمُحَارِبِينَ الْجَادِينَ
الْمُتَمَتِّعِينَ بِالشَّجَاعَةِ وَالْبَسَالَةِ.

دَرَسَ فِي مَطْلَعِ حَيَاتِهِ وَبَرَعَ فِي الْفِقْهِ وَصَنَّفَ كِتَابًا قَبْلَ
تَوَلَّيْهِ الْعَرْشِ، وَكَانَ هَاوِيًّا لِلْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، وَعَاشَ فِي
عَصْرِهِ الْأَيُّمَةَ وَالْعُلَمَاءَ الْكَرَامَ؛ مِنْهُمْ أَبُو الرَّيْحَانِ مُحَمَّدٌ
بْنُ أَحْمَدَ الْبَيْرُونِي صَاحِبَ مُصَنَّفِ مِفْتَاحِ عِلْمِ الْفَلَكَ
وَكَانَ صَيْدَلِيًّا (تُوفِّي ٤٤٠هـ)، وَالْإِمَامُ الْمُحَدَّثُ أَحْمَدُ بْنُ
الْحُسَيْنِ الْبَيْهَقِي (تُوفِّي ٤٥٨هـ)، وَأَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ
الْكِسَائِي إِمَامُ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ، بَدَلُ فِي نَشْرِ الْكُتُبِ النَّافِعَةِ الَّتِي



توافقُ رُوحَ الدِّينِ الحَنِيفِ والمَذْهَبِ السُّنِّيِّ، وأَصْبَحَتْ غَزَاةَ
مَنَارَةِ العِلْمِ ومَقْصَدَ العُلَمَاءِ فِي إقْلِيمِ المَشْرِقِ الإِسْلَامِيِّ.
استمرَّ السُّلْطَانُ يُوَاصِلُ جِهَادَهُ حَتَّى أَصَابَهُ المَرَضُ،
وَطَالَ بِهِ المَرَضُ نَحْوَ سِتِّينَ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى رَحْمَةِ اللهِ عَامَ
(٤٢١هـ - ١٠٣٠م)، بَعْدَ أَنْ أُسِّسَتْ دَوْلَةٌ قَوِيَّةٌ وَاسِعَةٌ
الأَرَاضِي حَيْثُ ضَمَّتْ مُعْظَمَ إِيْرَانِ وَبِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ
وشَمَالِ الهِنْدِ.

قَالَ عَنْهُ شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمته الله: لَمَّا كَانَتْ مَمْلَكَةُ مُحَمَّدِ بْنِ
سُبُكْتِكِيْنٍ مِنْ أَحْسَنِ مَمَالِكِ بَنِي جَنْسِهِ، كَانَ الإِسْلَامُ وَالسُّنَّةُ
فِي مَمْلَكَتِهِ أَعَزَّ، فَإِنَّهُ غَزَا المُشْرِكِيْنَ مِنْ أَهْلِ الهِنْدِ، وَنَشَرَ
مِنَ العَدْلِ مَا لَمْ يَنْشُرْهُ مِثْلُهُ، فَكَانَتِ السُّنَّةُ فِي أَيَّامِهِ ظَاهِرَةً،
وَالْبِدْعُ فِي أَيَّامِهِ مَقْمُوعَةً ^(١).



(١) «مجموع الفتاوى»: ٢/١٥، لأبي العباس تقي الدين الحرّاني، متوفى ٧٢٨هـ.



مِنَ الدَّلِيلِ عَلَى زُهْدِ الْإِمَامِ مَالِكٍ وَتَوَاضُعِهِ، وَتَوَرُّعِهِ
عَلَى عَدَمِ حَمْلِ النَّاسِ عَلَى تَقْلِيدِهِ.

فَقَدْ بَيَّنَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُقَفَّعِ فِي: «رِسَالَةِ الصَّحَابَةِ فِي
طَاعَةِ السُّلْطَانِ» الَّتِي رَفَعَهَا إِلَى الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ أَبِي جَعْفَرٍ
الْمَنْصُورِ؛ الضَّرَرَ مِنْ فَوْضَى الاجْتِهَادِ وَاخْتِلَافِ الْأَحْكَامِ،
وَنَوَّهَ بِالْفَائِدَةِ مِنْ وَضْعِ قَانُونٍ عَامٍّ لِجَمِيعِ الْأَمْصَارِ يُؤْخَذُ مِنْ
الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَعِنْدَ عَدَمِ النَّصِّ يُؤْخَذُ عَنِ الرَّأْيِ عَلَى مَا
يَقْتَضِيهِ الْعَدْلُ وَمَصْلَحَةُ الْأُمَّةِ.

عَرَضَ أَبُو جَعْفَرٍ الْأَمْرَ عَلَى الْإِمَامِ مَالِكٍ، وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ
يُدَوِّنَ مَذْهَبَهُ لِيَحْمِلَ النَّاسُ عَلَى عِلْمِهِ وَكُتُبِهِ، فَرَفَضَ الْإِمَامُ
هَذَا الْفَخْرَ، كَمَا رَفَضَهُ تَكَرَّارًا فِي عَهْدِ هَارُونَ الرَّشِيدِ.

وَلَمَّا أَقْتَى بِعَدَمِ صِحَّةِ الْبَيْعَةِ بِالْإِكْرَاهِ، أَمَرَ وَالِي
الْمَدِينَةِ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ بِضَرْبِهِ بِالسَّيَاطِ؛ فَتَحَمَّلَ مَالِكٌ

هَذَا الْأَذَى، وَصَبَرَ عَلَى ذَلِكَ الْأَضْطِهَادِ، وَبَقِيَ مُصِرًّا عَلَى رَأْيِهِ وَعَقِيدَتِهِ^(١).

قال ابن حزم الأندلسي: انظر في المَالِ والحَالِ والصَّحَّةِ إِلَى مَنْ دُونَكَ.

وانظر في الدِّينِ والعِلْمِ والفَضَائِلِ إِلَى مَنْ فَوْقَكَ^(٢).

١٧- حَتَّى شَاءَهُ اللَّهُ لَهَا

قَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿[التكوير: ٢٨-٢٩].

فبين بهذا أَنَّهُ لَا يَعْمَلُ الْعَبْدُ خَيْرًا إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ، وَلَا شَرًّا إِلَّا بِخِذْلَانِهِ^(٣).

(١) «طريق الهجرتين وباب السعادتين»: ص ٢٦-٢٧، للإمام أبي عبد الله محمد ابن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.

(٢) «الأخلاق والسير»: ص ٨٩، للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، متوفى ٤٥٦هـ.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن»: تفسير القرطبي، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي.

وَقَالَ الْحَسَنُ: وَاللَّهِ مَا شَاءَتِ الْعَرَبُ الْإِسْلَامَ حَتَّى شَاءَهُ
اللَّهُ لَهَا.

وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنْبَهٍ: قَرَأْتُ فِي سَبْعَةٍ وَثَمَانِينَ كِتَابًا مِمَّا
أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ: مَنْ جَعَلَ إِلَيَّ نَفْسِهِ شَيْئًا مِنَ الْمَشِيئَةِ؛
فَقَدْ كَفَرَ^(١).

١٨- ورع الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز

حَدَّثَنَا الْفَهْرِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ
يُقَسِّمُ تَفَاحَ الْفَيِّءِ، فَتَنَاوَلَ ابْنُ لَهُ صَغِيرٌ تَفَاحَةً، فَانْتَزَعَهَا مِنْ
فِيهِ، فَأَوْجَعَهُ، فَسَعَى إِلَى أُمِّهِ مُسْتَعِيرًا، فَأَرْسَلَتْ إِلَى السُّوقِ،
فَاشْتَرَتْ لَهُ تَفَاحًا، فَلَمَّا رَجَعَ عُمَرُ، وَجَدَ رِيحَ التَّفَاحِ، فَقَالَ:
يَا فَاطِمَةُ هَلْ أَتَيْتِ شَيْئًا مِنْ هَذَا الْفَيِّءِ؟ قَالَتْ: لَا - وَقَصَّتْ
عَلَيْهِ الْقِصَّةَ - فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ انْتَزَعْتُهَا مِنْ ابْنِي، فَكَأَنَّمَا
انْتَزَعْتُهَا مِنْ قَلْبِي، وَلَكِنْ كَرِهْتُ أَنْ أُضِيعَ نَفْسِي مِنَ اللَّهِ
بِتَفَاحَةٍ مِنْ فَيِّءِ الْمُسْلِمِينَ.

(١) «الجامع لأحكام القرآن»: تفسير القرطبي ١/ ١٧٠، للإمام أبي عبد الله محمد
ابن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي.

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ مُهَاجِرٍ قَالَ: «اشْتَهَى عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ
تُفَّاحًا؛ فَقَالَ: لَوْ كَانَ لَنَا - أَوْ عِنْدَنَا - شَيْءٌ مِنْ تُفَّاحٍ؟ فَإِنَّهُ
طَيِّبُ الرِّيحِ وَالطَّعْمِ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ فَأَهْدَى إِلَيْهِ
تُفَّاحًا، فَلَمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، قَالَ: مَا أَطْيَبَ رِيحَهُ وَأَحْسَنَهُ،
ارْفَعَهُ يَا غُلَامَ، فَأَقْرَأْ فُلَانًا السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: إِنَّ هَدِيَّتَكَ قَدْ
وَقَعَتْ مِنَّا بِمَوْقِعٍ بَحِيثٍ تُحِبُّ؛ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ ابْنُ
عَمِّكَ وَرَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ، وَقَدْ بَلَغَكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ
يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، قَالَ: وَيَحَكَ؛ إِنَّ الْهَدِيَّةَ كَانَتْ
لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَهِيَ الْيَوْمَ لَنَا رَشْوَةٌ»^(١).

١٩- أَتَرُونَهُ لَوْ زَادُوهُ فَعَلَ

اسْتَعْمَلَ مُعَاوِيَةَ رَجُلًا مِنْ كَلْبٍ - اسْمُ قَبِيلَةٍ - فَذَكَرَ
الْمَجُوسُ - أَتْبَاعُ عَبْدِ النَّارِ - يَوْمًا عِنْدَهُ، فَقَالَ: لَعَنَ اللَّهُ
الْمَجُوسَ يَنْكِحُونَ أُمَّهَاتِهِمْ، وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيتُ عَشْرَةَ آلَافٍ

(١) «سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد»: ص ١٩٠، تصنيف الحافظ
جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي القرشي البغدادي، متوفى
٥٩٧هـ.

دَرَّهَمَ مَا نَكَحْتُ أُمِّي، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: قَبِّحَهُ اللَّهُ،
أَتَرُونَهُ لَوْ زَادُوهُ فَعَلَ، وَعَزَلَهُ^(١).

٢- أَنَا أَحَقُّ بِالْحَيَاءِ مِنْ رَبِّي

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رحمته الله: إِنَّ خَادِمًا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ
أَذْنَبَ، فَأَرَادَ ابْنُ عُمَرَ أَنْ يُعَاقِبَهُ عَلَى ذَنْبِهِ، فَقَالَ: يَا سَيِّدِي!
أَمَا لَكَ ذَنْبٌ تَخَافُ اللَّهَ تَعَالَى مِنْهُ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَبِالَّذِي
أَمْهَلَكَ لَمَّا أَمْهَلْتَنِي، ثُمَّ أَذْنَبَ الْعَبْدُ ثَانِيًا، فَأَرَادَ عُقُوبَتَهُ، فَقَالَ
لَهُ: مِثْلَ ذَلِكَ، فَعَفَا عَنْهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ الثَّالِثَةَ، فَعَاقِبَهُ وَهُوَ لَا
يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: مَا لَكَ لَمْ تَقُلْ مَا قُلْتَ فِي الْأَوَّلَتَيْنِ؟
فَقَالَ: يَا سَيِّدِي! حَيَاءٌ مِنْ حِلْمِكَ مَعَ تَكَرُّرِ جُرْمِي، فَبَكَى
ابْنُ عُمَرَ، وَقَالَ: أَنَا أَحَقُّ بِالْحَيَاءِ مِنْ رَبِّي، أَنْتَ حُرٌّ لَوْ جِهَ اللَّهُ
تَعَالَى^(٢).

(١) «أدب الدنيا والدين»: ص ٢٣، لأبي الحسن البصري الماوردي، متوفى ٤٥١ هـ.

(٢) «البداية والنهاية»: ١٧ / ٣٠٠، للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل

ابن كثير القرشي الدمشقي، متوفى ٧٧٤ هـ.

٢١- فاقضوا عنه ما عليه من الدين

كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه إِلَى عُمَّالِهِ: أَنْ أَقْضُوا عَنْ الْغَارِمِينَ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ: أَنْ نَجِدَ الرَّجُلَ لَهُ الْمَسْكَنُ، وَالْخَادِمُ، وَالْفَرَسُ، وَلَهُ الْأَثَاثُ فِي بَيْتِهِ.

فَكَتَبَ عُمَرُ: لَا بَدَلَ لِلرَّجُلِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ مَسْكَنٍ يَأْوِي إِلَيْهِ رَأْسُهُ، وَخَادِمٍ يَكْفِيهِ مِهْنَتَهُ، وَفَرَسٍ يُجَاهِدُ عَلَيْهِ عَدُوَّهُ، وَأَثَاثٍ فِي بَيْتِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ غَارِمٌ، فاقضوا عنه ما عليه من الدين ^(١).

٢٢- فضل العلم وشرفه

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: لَوْ أَنَّ الْعُلَمَاءَ أَخَذُوا الْعِلْمَ بِحَقِّهِ لَأَحَبَّهُمُ اللَّهُ ﷻ وَالْمَلَائِكَةُ وَالصَّالِحُونَ مِنْ عِبَادِهِ، وَلَهَابَهُم النَّاسُ، لِفَضْلِ الْعِلْمِ وَشَرَفِهِ ^(٢).

(١) «سيرة عمر بن عبد العزيز»: ص ١٦٣، لابن عبد الحكم، متوفى ٢١٤ هـ.

(٢) «الأخلاق والسير»: ص ٢١٣، للإمام أبي محمد علي بن أحمد ابن حزم الأندلسي، متوفى ٤٥٦ هـ.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: الْعَالِمُ بِالرَّحْمَنِ مَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَأَحَلَّ حَلَالَهُ، وَحَرَّمَ حَرَامَهُ، وَحَفِظَ وَصِيَّتَهُ، وَأَيَّقَنَ أَنَّهُ مُلَاقِيهِ وَمُحَاسَبٌ بِعَمَلِهِ.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: الْخَشْيَةُ هِيَ الَّتِي تَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَعْصِيَةِ اللَّهِ ﷻ.

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: الْعَالِمُ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ، وَرَغِبَ فِيمَا رَغِبَ اللَّهُ فِيهِ، وَزَهَدَ فِيمَا سَخَطَ اللَّهُ فِيهِ، ثُمَّ تَلَا الْحَسَنُ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: لَيْسَ الْعِلْمُ عَنْ كَثْرَةِ الْحَدِيثِ، وَلَكِنَّ الْعِلْمَ عَنْ كَثْرَةِ الْخَشْيَةِ ^(١).

(١) «تفسير القرآن العظيم»: ٦/ ٥٤٤، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، متوفى ٧٧٤ هـ.

٢٣- مَا أَتَيْتَ فَاحِشَةً وَمَا هَمَمْتَ بِهَا

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾

[الحجر: ٥٧].

أي: المتأملين المتفكرين، الذين لهم فكرٌ ورويةٌ وفراصةٌ يفهمون بها ما أُريدَ بذلك^(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا يَعْرِفُونَ النَّاسَ بِالتَّوَسُّمِ»^(٢).

وقال جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ: أُتِيَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه بِأَمْرَةٍ قَدْ تَعَلَّقَتْ بِشَابٍّ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَكَانَتْ تَهْوَاهُ، فَلَمَّا لَمْ يُسَاعِدْهَا اخْتَالَتَ عَلَيْهِ، فَأَخَذَتْ بِيَضَّةٍ فَأَلْقَتْ صُفَارَهَا، وَصَبَّتِ الْبَيَاضَ عَلَى ثَوْبِهَا وَبَيْنَ فَخْذَيْهَا، ثُمَّ جَاءَتْ إِلَى عُمَرَ صَارِخَةً، فَقَالَتْ: هَذَا الرَّجُلُ غَلَبَنِي عَلَى نَفْسِي، وَفَضَحَنِي فِي أَهْلِي، وَهَذَا أَثَرُ فِعَالِهِ، فَسَأَلَ عُمَرُ النِّسَاءَ فَقُلْنَ لَهُ: إِنَّ بَدَنَهَا وَثَوْبَهَا أَثَرُ الْمَنِيِّ،

(١) «تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»: ص ٤٣٣ سورة الحجر، للشيخ

عبد الرحمن بن ناصر السعدي، متوفى ١٣٧٦هـ.

(٢) «تفسير القرآن العظيم»: ٢٧١ / ٨، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن

عمر بن كثير القرشي الدمشقي، متوفى ٧٧٤هـ، وحسنه الألباني.

فَهُمْ بِعُقُوبَةِ الشَّابِّ فَجَعَلَ يَسْتَعِثُّ، وَيَقُولُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،
تَثَبَّتْ فِي أَمْرِي، فَوَاللَّهِ مَا أَتَيْتُ فَاِحِشَةً وَمَا هَمَمْتُ بِهَا، فَلَقَدْ
رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي فَأَعْتَصَمْتُ.

فَقَالَ عُمَرُ: يَا أَبَا الْحَسَنِ مَا تَرَى فِي أَمْرِهِمَا؟ فَنَظَرَ عَلَيَّ
إِلَى مَا عَلَى الثَّوْبِ.

ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ حَارٍّ شَدِيدِ الْغَلْيَانِ، فَصَبَّ عَلَى الثَّوْبِ فَجَمَدَ
ذَلِكَ الْبَيَاضُ، ثُمَّ أَخَذَهُ وَاشْتَمَّهُ وَذَاقَهُ، فَعَرَفَ طَعْمَ الْبَيْضِ
وَزَجَرَ الْمَرْأَةَ، فَأَعْتَرَفَتْ^(١).

٢٤- يَا أَخِي! أَمَرْتَنَا بِخَيْرٍ فَأَطَعْنَاكَ

ذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي تَوَاضُعِ أَهْلِ الْعِلْمِ: سَمِعْتُ غَيْرَ
وَاحِدٍ مِنْ شُيُوخِي يَذْكُرُ أَنَّ الْغَازِيَّ بْنَ قَيْسٍ، لَمَّا رَحَلَ إِلَى
الْمَدِينَةِ سَمِعَ مِنْ مَالِكٍ، وَقَرَأَ عَلَى نَافِعِ الْقَارِيِّ، فَبَيْنَمَا هُوَ فِي
أَوَّلِ دُخُولِهِ الْمَدِينَةَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ دَخَلَ ابْنُ أَبِي

(١) «الطرق الحكمية في السياسة الشرعية»: ص ٧٠، للإمام شمس الدين أبي

عبد الله محمد ابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١ هـ.

ذَنْبٍ فَجَلَسَ وَلَمْ يَرْكَعْ، فَقَالَ لَهُ الْغَازِي: قُمْ يَا هَذَا! فَارْكَعْ رَكَعَتَيْنِ، فَإِنَّ جُلُوسَكَ دُونَ أَنْ تُحْيِيَ الْمَسْجِدَ بِرَكَعَتَيْنِ جَهْلٌ، أَوْ نَحْوَ هَذَا مِنْ جَفَاءِ الْقَوْلِ، فَقَامَ ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ فَرَكَعَ رَكَعَتَيْنِ وَجَلَسَ، فَلَمَّا انْقَضَتِ الصَّلَاةُ أَسَدَ ظَهْرَهُ وَتَحَلَّقَ النَّاسُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْغَازِي بَنُ قَيْسٍ خَجَلَ وَاسْتَحْيَا وَنَدِمَ، وَسَأَلَ عَنْهُ، فَقِيلَ لَهُ: هَذَا ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ أَحَدُ فُقَهَاءِ الْمَدِينَةِ وَأَشْرَافِهِمْ، فَقَامَ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْإِمَامُ ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ: يَا أَخِي! لَا عَلَيْكَ أَمْرَتَنَا بِخَيْرٍ فَأَطْعَمْنَاكَ^(١).

٢٥- خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا

قَالَ الْمَاورِدِيُّ رحمته الله: سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُضَارِبٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: سَأَلْتُ الْحُسَيْنَ بْنَ الْفَضْلِ فَقُلْتُ: إِنَّكَ تُخْرِجُ أَمْثَالَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ مِنَ الْقُرْآنِ! فَهَلْ تَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ «خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا»؟

(١) «التمهيد»: ١٠٦/٢٠، للإمام الحافظ ابن عبد البر الأندلسي، ت ٤٦٣ هـ.

قَالَ: نَعَمْ، فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ:
 قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانُ بَيْتِكَ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨].
 وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ
 بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا
 كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩].
 وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ
 ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠].

قُلْتُ: فَهَلْ تَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ: «مَنْ جَهَلَ شَيْئًا عَادَاهُ»؟
 قَالَ: نَعَمْ، فِي مَوْضِعَيْنِ:
 ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ﴾ [يونس: ٣٩].

و﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَمَسِيحُونَهُ هَذَا الْفُكُّ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١].
 قُلْتُ: فَهَلْ تَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ:
 «احْذَرِ شَرَّ مَنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ»؟ قَالَ: نَعَمْ:

﴿وَمَا نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [التوبة: ٧٤].

قُلْتُ: فَهَلْ تَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ: «لَيْسَ الْخَبْرُ كَالْعِيَانِ»؟
 قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ تَوْمِنَ ۚ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لَّا يَظْمِنُ ۚ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

قُلْتُ: فَهَلْ تَجِدُ: «فِي الْحَرَكَاتِ الْبَرَكَاتُ»؟
 قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ ۚ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ﴾ [النساء: ١٠٠].

قُلْتُ: فَهَلْ تَجِدُ: «كَمَا تَدِينُ تُدَانُ»؟
 قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ۚ﴾ [النساء: ١٢٣].
 قُلْتُ: فَهَلْ تَجِدُ فِيهِ قَوْلُهُمْ: «حِينَ تَقْلِي تَدْرِي»؟
 قَالَ: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۚ﴾ [الفرقان: ٤٢].

قُلْتُ: فَهَلْ تَجِدُ فِيهِ: «لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ»؟
 قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ أَمْنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمْنُكُمْ عَلَىٰ ۚ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ ۚ﴾ [يوسف: ٦٤].

قُلْتُ: فَهَلْ تَجِدُ فِيهِ: «مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا سُلَّطَ عَلَيْهِ»؟



قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ، وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [الحج: ٤].

قُلْتُ: فَهَلْ تَجِدُ فِيهِ قَوْلَهُمْ: «لَا تِلِدُ الْحَيَّةُ إِلَّا حَيَّةً»؟
قَالَ: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِراً كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧].

قُلْتُ: فَهَلْ تَجِدُ فِيهِ: «لِلْحَيَّاتِ أَذَانٌ»؟
قَالَ: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧].

قُلْتُ: فَهَلْ تَجِدُ فِيهِ: «الْجَاهِلُ مَرْزُوقٌ وَالْعَالِمُ مَحْرُومٌ»؟
قَالَ: ﴿مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥].

قُلْتُ: فَهَلْ تَجِدُ فِيهِ: «الْحَلَالُ لَا يَأْتِيكَ إِلَّا قُوتًا، وَالْحَرَامُ لَا يَأْتِيكَ إِلَّا جُزَافًا»؟

قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ [الأعراف: ١٦٣] ^(١).

(١) «الإتقان في علوم القرآن»: ص ٦٧٣-٦٧٤، للإمام جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، متوفى ٩١١هـ.

قال أبو وداعة عن أبي محمد سعيد بن المسيب سيد التابعين، الجامع بين الحديث والفقه والزهد والورع.

قال: كُنْتُ أَجَالِسُ سَعِيدَ بْنِ الْمُسَيَّبِ فَفَقَدَنِي أَيَّامًا فَلَمَّا جِئْتُهُ قَالَ: أَيْنَ كُنْتَ؟ قَالَ: تُوَفِّيتُ أَهْلِي فَاسْتَعَلْتُ بِهَا، فَقَالَ: هَلَا أَخْبَرْتَنَا فَشَهِدْنَاهَا؟ قَالَ: ثُمَّ أَرَدْتُ أَنْ أَقُومَ، فَقَالَ: هَلَا أَحْدَثْتَ امْرَأَةً غَيْرَهَا؟ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ وَمَنْ يَزُوجُنِي وَمَا أَمْلِكُ إِلَّا دِرْهَمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً؟ فَقَالَ: إِنْ أَنَا فَعَلْتُ تَفْعَلُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، ثُمَّ حَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَرَزَّوَجَنِي عَلَى دِرْهَمَيْنِ أَوْ قَالَ عَلَى ثَلَاثَةٍ.

قال: فَقُمْتُ وَمَا أَذْرِي مَا أَصْنَعُ مِنَ الْفَرَحِ فَصِرْتُ إِلَى مَنْزِلِي وَجَعَلْتُ أَتَفَكَّرُ مِمَّنْ أَخَذُ وَأَسْتَدِينُ، وَصَلَّيْتُ الْمَغْرِبَ وَكُنْتُ صَائِمًا فَقَدِمْتُ عَشَائِي لِأَفْطِرٍ، كَانَ خُبْزًا وَزَيْتًا وَإِذَا بِالْبَابِ يُقْرَعُ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: سَعِيدٌ، فَفَكَّرْتُ فِي كُلِّ إِنْسَانٍ اسْمُهُ سَعِيدٌ إِلَّا سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَرِ مِنْدَ أَرْبَعِينَ

سَنَةً إِلَّا مَا بَيْنَ بَيْتِهِ وَالْمَسْجِدِ، فَقُمْتُ وَخَرَجْتُ وَإِذَا بِسَعِيدِ بْنِ
الْمُسَيَّبِ فَظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ بَدَأَ لهُ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ هَلَا أُرْسِلَتْ
إِلَيَّ فَاتِيكَ؟ قَالَ: لَا أَنْتَ أَحَقُّ أَنْ تُؤْتَى، قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرْنِي؟
قَالَ: رَأَيْتَكَ رَجُلًا عَزَبًا قَدْ تَزَوَّجْتَ فَكْرِهْتُ أَنْ تَبِيتَ اللَّيْلَةَ
وَحَدَّكَ، وَهَذِهِ أَمْرُكَ فَإِذَا هِيَ قَائِمَةٌ خَلْفَهُ فِي طُولِهِ ثُمَّ دَفَعَهَا
فِي الْبَابِ وَرَدَّ الْبَابَ، فَسَقَطَتِ الْمَرْأَةُ مِنَ الْحَيَاءِ، فَاسْتَوْثَقَتْ
مِنَ الْبَابِ ثُمَّ صَعِدَتْ إِلَى السَّطْحِ، فَنَادَيْتِ الْجِيرَانَ فَجَاؤُونِي
وَقَالُوا: مَا شَأْنُكَ؟ فَقُلْتُ: زَوَّجَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ الْيَوْمَ
ابْنَتُهُ وَقَدْ جَاءَ بِهَا عَلَى عَفْلَةٍ وَهَا هِيَ فِي الدَّارِ، فَزَلُّوا إِلَيْهَا
وَبَلَغَ أُمِّي فَجَاءَتْ، وَقَالَتْ: وَجْهِي مِنْ وَجْهِكَ حَرَامٌ إِنْ
مَسَسْتُهَا قَبْلَ أَنْ أُضْلِحَهَا إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فَأَقُمْتُ ثَلَاثًا ثُمَّ
دَخَلْتُ بِهَا، فَإِذَا هِيَ مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ، وَأَخْفَظِهِمْ لِكِتَابِ اللَّهِ
تَعَالَى، وَأَعْلَمِهِمْ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَعْرَفِهِمْ بِحَقِّ الزَّوْجِ،
قَالَ: فَمَكَثَ شَهْرًا لَا يَأْتِينِي وَلَا آتِيهِ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ بَعْدَ شَهْرٍ وَهُوَ فِي
حَلَقَتِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيَّ وَلَمْ يَكَلِّمْنِي حَتَّى انْفَضَّ مِنْ
فِي الْمَسْجِدِ، فَلَمَّا لَمْ يَبْقَ غَيْرِي، قَالَ: مَا حَالُ ذَلِكَ الْإِنْسَانِ؟



قُلْتُ: هُوَ عَلَى مَا يُحِبُّ الصَّدِيقُ وَيَكْرَهُ الْعَدُوَّ، قَالَ: إِنَّ رَابِكَ شَيْءٌ فَالْعَصَا، فَأَنْصَرَفْتُ إِلَى مَنْزِلِي.

وَكَانَتْ بِنْتُ سَعِيدِ الْمَذْكُورَةِ خَطَبَهَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِابْنِهِ الْوَلِيدِ حِينَ وَلَّاهُ الْعَهْدَ، فَأَبَى سَعِيدٌ أَنْ يُزَوِّجَهُ، فَلَمْ يَزَلْ عَبْدُ الْمَلِكِ يَحْتَالُ عَلَى سَعِيدٍ حَتَّى ضَرَبَهُ فِي يَوْمٍ بَارِدٍ وَصَبَّ عَلَيْهِ الْمَاءَ^(١).

٢٧- «يُسْتَخْرَجُ بِالنَّذْرِ مِنَ الْبَخِيلِ»

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَوْ لَمْ يُنْهَوْا عَنِ النَّذْرِ، إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ النَّذْرَ لَا يُقَدَّمُ شَيْئًا وَلَا يُؤَخَّرُ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِالنَّذْرِ مِنَ الْبَخِيلِ»^(٢).

حَثَّ الْإِسْلَامُ عَلَى أَنْ تَكُونَ الطَّاعَاتُ وَالْعِبَادَاتُ خَالِصَةً لِلَّهِ تَعَالَى، وَلَيْسَتْ تَعْوِضًا عَلَى أَمْرٍ أَوْ حَصُولَ مَنْفَعَةٍ، بَحِثْ

(١) «وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ وَأَنْبَاءُ أَبْنَاءِ الزَّمَانِ»، ٣١٤/٢، لأبي العباس أحمد بن محمد

ابن إبراهيم بن أبي بكر بن خَلَّكَانَ، متوفى ٦٨١ هـ.

(٢) متفق عليه. «أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ»: ٦٦٩٢، و«مُسْلِمٌ»: ١٦٣٩، باختلاف يسير.

لو لم تحضّل هذه المنفعة لا تُؤدّي هذه الطاعة.
 فالنذر عهدٌ يعهده الإنسان على نفسه ويلتزم به؛ فيوجب
 على نفسه شيئاً ويثقله بعهد لم يجب عليه في الأصل،
 والمقدّر لا يتغيّر بسبب النذر من شرٍّ إلى خيرٍ، ولكن يلزم
 النذر البخل بإخراج شيءٍ لم يكن يريد إخراجَه من طوعه.

٢٨- فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ آدَى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الْخَشْبَةِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ
 بَنِي إِسْرَائِيلَ، سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسَلِّفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ.
 فَقَالَ: أَتَيْتَنِي بِالشُّهَدَاءِ أَشْهَدُهُمْ، فَقَالَ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا،
 قَالَ: فَأَتَيْتَنِي بِالْكَفِيلِ. قَالَ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ؛
 فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى.

فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ التَّمَسَّ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا
 يَقْدُمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ، فَلَمْ يَحِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشْبَةً

فَنَقَرَهَا، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ
رَجَعَ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْبَحْرِ، فَقَالَ:

اللَّهُمَّ! إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّمْتُ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ،
فَسَأَلَنِي كَفِيلًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَسَأَلَنِي
شَهِيدًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَإِنِّي جَهَدْتُ أَنْ
أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلََمْ أَقْدِرُ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا،
فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ
يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ.

فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ
بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ؛ فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطْبًا، فَلَمَّا
نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ فَأَتَى
بِالْأَلْفِ دِينَارٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ
لَا يَتِيكَ بِمَالِكَ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ، قَالَ:
هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: أَخْبِرْكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا
قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ



في الخَشْبَةِ؛ فَانصَرَفَ بِالْأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا^(١).

٢٩- إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَأَنْتَ حُرٌّ

قَالَ الإمامُ الزَّاهِدُ عَلِيُّ بْنُ بَكَّارٍ رحمته الله:

كُنَّا جُلُوسًا بِالْمَصِيصَةِ وَفِينَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ، فَقَدِمَ رَجُلٌ
مِنْ خُرَاسَانَ فَقَالَ: أَيُّكُمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ؟ فَقَالَ الْقَوْمُ: هَذَا!
وَأَشَارُوا إِلَيْهِ.

قَالَ: إِنَّ إِخْوَتَكَ بَعَثُونِي إِلَيْكَ، فَلَمَّا ذَكَرَ إِخْوَتَهُ أَخَذَ بِيَدِهِ
فَنَحَّاهُ، وَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: أَنَا مَمْلُوكٌ مَعِيَ دَرَاهِمُ عَشْرَةٌ
آلافٍ، وَفَرَسٌ وَبَغْلَةٌ بَعَثَ بِهَا إِخْوَتُكَ إِلَيْكَ.
قَالَ: إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَأَنْتَ حُرٌّ وَمَا مَعَكَ لَكَ، اذْهَبْ فَلَا
تُخْبِرَ أَحَدًا^(٢).

(١) رواه البخاري: ٢٢٩١.

(٢) «وَقِيَّاتُ الْأَعْيَانِ وَأَنْبَاءُ أَبْنَاءِ الزَّمَانِ»: ١/ ٣٩٥ - ٣٩٦، في زيادة نسخة
آبا صوفيا، لأبي عباس أحمد بن حَلَّكَانَ، متوفى ٦٨١ هـ.

٣٠- يَرْزُقُهُمْ عَلَى كَثْرَةِ عَدَدِهِمْ

قِيلَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام: كَيْفَ يُحَاسِبُ اللَّهُ الْعِبَادَ عَلَى كَثْرَةِ عَدَدِهِمْ؟!

فَقَالَ: كَمَا يَرْزُقُهُمْ عَلَى كَثْرَةِ عَدَدِهِمْ ^(١).

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا

حَسِيرِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

٣١- قَسَمَ الْأَعْمَالُ كَمَا قَسَمَ الْأَرْزَاقُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الدَّارِيَات: ٢٢].

قَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ وَالضَّحَّاكُ: الرِّزْقُ هُنَا مَا يُنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَطَرٍ وَثَلَجٍ يَنْبُتُ بِهِ الزَّرْعُ وَيَحْيَا بِهِ الْخَلْقُ.

(١) «أدب الدنيا والدين»: ص ١١، لأبي الحسن الماوردي، متوفى ٤٥١ هـ.

وقال سعيد بن جبير: كُلُّ عَيْنٍ قَائِمَةٌ فَإِنَّهَا مِنَ الثَّلَجِ.
وَعَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ كَانَ إِذَا رَأَى السَّحَابَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: فِيهِ
وَاللَّهُ رِزْقُكُمْ وَلَكِنَّكُمْ تُحَرِّمُونَهُ بِخَطَايَاكُمْ.

وَقَالَ أَهْلُ الْمَعَانِي: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ مَعْنَاهُ وَفِي
الْمَطَرِ رِزْقُكُمْ، سُمِّيَ الْمَطَرُ سَمَاءً؛ لِأَنَّهُ مِنَ السَّمَاءِ يَنْزِلُ^(١).

كَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْعُمَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى إِمَامِ
دَارِ الْهَجْرَةِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ؛ يَحُضُّهُ إِلَى الْإِنْفِرَادِ وَالْعَمَلِ،
وَيَرْغَبُ بِهِ عَنِ الْجُمُعَةِ إِلَيْهِ فِي الْعِلْمِ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْإِمَامُ مَالِكُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَسَمَ الْأَعْمَالَ كَمَا
قَسَمَ الْأَرْزَاقَ: قَرَّبَ رَجُلٍ فُتِحَ لَهُ فِي الصَّلَاةِ، وَلَمْ يُفْتَحَ لَهُ فِي
الصَّوْمِ.

وَأَخْرَفُتِحَ لَهُ فِي الصَّدَقَةِ، وَلَمْ يُفْتَحَ لَهُ فِي الصِّيَامِ.

وَأَخْرَفُتِحَ لَهُ فِي الْجِهَادِ، وَلَمْ يُفْتَحَ لَهُ فِي الصَّلَاةِ.

(١) «الجامع لأحكام القرآن» تفسير القرطبي، ٤٨٦/١٩، سورة الذاريات، للإمام

أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي، متوفى

٦٧١ هـ.

وَنَشَرُ الْعِلْمَ وَتَعْلِيمُهُ مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِ الْبِرِّ. وَقَدْ رَضِيتُ
بِمَا فَتَحَ اللَّهُ لِي فِيهِ مِنْ ذَلِكَ.

وَمَا أَظُنُّ مَا أَنَا فِيهِ بِدُونِ مَا أَنْتَ فِيهِ. وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ كِلَانَا
عَلَى خَيْرٍ. وَيَجِبُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا أَنْ يَرْضَى بِمَا قُسِمَ لَهُ.
وَالسَّلَامُ^(١).

٣٢- لَا أَذْرِي

حَدَّثَ ابْنُ وَهْبٍ عَنْ مَالِكٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ هُرْمُزَ،
يَقُولُ: يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يُورِثَ جُلَسَاءَهُ مِنْ بَعْدِهِ «لَا أَذْرِي»
حَتَّى يَكُونَ أَصْلًا فِي أَيْدِيهِمْ؛ فَإِذَا سُئِلَ أَحَدُهُمْ عَمَّا لَا
يَعْلَمُ، قَالَ: لَا أَذْرِي^(٢).

(١) «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد»: ٦ / ٢٥٤، للإمام الحافظ أبي

عمر ابن عبد البر الأندلسي، متوفى ٤٦٣ هـ.

(٢) «فتح المالك بترتيب التمهيد على موطأ الإمام مالك»: ص ٧٠، لابن عبد البر،

تحقيق: مصطفى صميحة.

وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّعْبِيُّ رحمته الله: لَا أَذْرِي نِصْفَ الْعِلْمِ ^(١).

٣٣- فَلَمْ أَذْرِ مَا أَقُولُ

قَالَ الْجَاحِظُ، قَالَ ثُمَامَةُ:

دَخَلْتُ إِلَى صَدِيقٍ لِي أَعُوذُهُ وَتَرَكْتُ حِمَارِي عَلَى
الْبَابِ، وَلَمْ يَكُنْ مَعِيَ غِلَافٌ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَإِذَا فَوْقَهُ صَبِيٌّ،
فَقُلْتُ: لِمَ رَكِبْتَ حِمَارِي بِغَيْرِ إِذْنِي؟
قَالَ: خِفْتُ أَنْ يَذْهَبَ فَحَفِظْتُهُ لَكَ.
قُلْتُ: لَوْ ذَهَبَ كَانَ أَعْجَبَ إِلَيَّ مِنْ بَقَائِهِ.
قَالَ: فَإِنْ كَانَ هَذَا رَأْيُكَ فِي الْحِمَارِ، فَاعْمَلْ عَلَى أَنَّهُ قَدْ
ذَهَبَ، وَهَبْهُ لِي، وَارْبَحْ شُكْرِي، فَلَمْ أَذْرِ مَا أَقُولُ ^(٢).

(١) «الآداب الشرعية»: ٥٨/٢، لابن رجب الحنبلي.

(٢) «تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها
ووارديها»: ص ٢٠، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب
البغدادى، متوفى ٤٦٣ هـ.

٣٤- دِيَوَان، دِيَوَان

حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مَرْوَانَ، عَنِ الْأَعْمَشِ،
عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، قَالَ: انْتَهَيْنَا إِلَى دِجْلَةٍ وَهِيَ مَادَّةٌ - أَيُّ:
مُرْتَفَعَةٌ - وَالْأَعَاجِمُ خَلْفَهَا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: بِسْمِ
اللَّهِ، ثُمَّ اقْتَحَمَ بِفَرَسِهِ فَارْتَفَعَ عَلَى الْمَاءِ.

فَقَالَ النَّاسُ: بِسْمِ اللَّهِ، ثُمَّ اقْتَحَمُوا فَارْتَفَعُوا عَلَى الْمَاءِ،
فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِمُ الْأَعَاجِمُ قَالُوا:

دِيَوَان، دِيَوَان - أَيُّ: مَجَانِينُ بِالْفَارِسيَّةِ - ثُمَّ ذَهَبُوا عَلَى
وُجُوهِهِمْ، فَمَا فَقَدُوا إِلَّا قَدْحًا كَانَ مُعَلَّقًا بِعَذْبَةٍ - أَيُّ: طَرَفٍ -
سَرَجٍ؛ فَلَمَّا خَرَجُوا أَصَابُوا الْغَنَائِمَ فَاقْتَسَمُوهَا، فَجَعَلَ
الرَّجُلُ يَقُولُ: مَنْ يُبَادِلُ صَفْرَاءَ بَيْضَاءَ؟^(١)

(١) «دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة»: ٥٣/٦، لأبي بكر أحمد بن

الحسين البيهقي، متوفى ٤٥٨ هـ.

٣٥- مَرْحَبًا بِنَسَبٍ قَرِيبٍ

عن ابن عمر رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ صَلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُؤَلَّى»^(١).

عَنْ أَسْلَمَ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه إِلَى السُّوقِ، فَلَحِقَتْ عُمَرَ امْرَأَةٌ شَابَةٌ، فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلْكَ زَوْجِي وَتَرَكَ صَبِيَّةً صِغَارًا، وَاللَّهِ مَا يُنْضِجُونَ كُرَاعًا، وَلَا لَهُمْ زَرْعٌ وَلَا ضَرْعٌ، وَخَشِيتُ أَنْ تَأْكُلَهُمُ الضَّبَعُ، وَأَنَا بِنْتُ خُفَافِ بْنِ إِيمَاءَ الْغِفَارِيِّ، وَقَدْ شَهِدَ أَبِي الْحُدَيْبِيَّةَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَوَقَفَ مَعَهَا عُمَرُ وَلَمْ يَمْضِ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِنَسَبٍ قَرِيبٍ. ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى بَعِيرِ ظَهِيرٍ كَانَ مَرْبُوطًا فِي الدَّارِ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ غِرَارَتَيْنِ مَلَأَهُمَا طَعَامًا، وَحَمَلَ بَيْنَهُمَا نَفَقَةً وَثِيَابًا، ثُمَّ نَاولَهَا بِخَطَامِهِ ثُمَّ قَالَ: اقْتَادِيهِ فَلَنْ يَفْنَى حَتَّى يَأْتِيَكُمُ اللَّهُ بِخَيْرٍ. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! أَكْثَرْتَ لَهَا. فَقَالَ عُمَرُ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ،

(١) «صحيح مسلم»: ٢٥٥٢.

وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى أَبَا هَذِهِ وَأَخَاهَا، قَدْ حَاصَرَا حِصْنًا زَمَانًا،
فَافْتَتَحَاهُ، ثُمَّ أَصْبَحْنَا نَسْتَفِيءُ سُهُمَانَهُمَا فِيهِ ^(١).

أخبر أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنهما خرجا إلى
السوق، فلحقت امرأة شابة بعمر رضي الله عنه، وقالت إن لها صبيةً
صغاراً وإن زوجها قد مات، وسأقت مشكلتها له أنهم ليس
لهم زرعٌ ولا ماشيةٌ ولا يحسنون طهيًا بسبب فقرهم وأنها
تخاف عليهم من جوع، وذكر أنها ابنة الصحابيِّ خفاف بن
إيماء رضي الله عنه، وأنه شهد الحديبية مع النبي صلى الله عليه وسلم والتي وقع فيها
الصلح مع قريش في السنة السادسة من الهجرة.

وقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورَحَّبَ بها وتذكر نسب
قريش، ثم انصرف عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجهاز لها بغيراً قوياً
فوضع وعاءين كبيرين فيهما طعام ومال وثياب، ثم أعطاها
حبل البعير لَتَقْوَدَهُ إلى بيتها.

فقال رجلٌ: أعطيتها كثيراً، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه:
ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، وهذا كلامٌ للتوبيخ تقولها العرب، إنَّ سبب

(١) «صحيح البخاري»: ٤١٦٠.

إكثاره وإكرامه لأنَّ أباهما خفافاً وأخاهما ﷺ قد حاصرا حصناً
من حصون العدو ثم فُتِحَ فأخذنا الغنيمةَ واقتسمناها.

٣٦- اجْلِسْ مِنِّي قَيْدَ رُمْحٍ

عن الزُّهْرِيِّ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ لِمُعَيْقِبٍ؛
وَكَانَ بِهِ ذَلِكَ الدَّاءُ، وَكَانَ بَدْرِيًّا: «اجْلِسْ مِنِّي قَيْدَ رُمْحٍ»
أي: قُرَابَةً مِثْرَ وَزِيَادَةٍ^(١).

وذلك للحذر من انتقال عدوى المرض.



(١) «شرح صحيح البخاري»: ص ٤١١، لابن بطال، متوفى ٤٤٩ هـ.

٣٧- لَا يَحْمِلُوا أَحَدًا بِلِجَامٍ ثَقِيلٍ

كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى حَيَّانَ بِمِصْرَ: إِنَّهُ بَلَّغَنِي أَنَّ بِمِصْرَ إِبِلًا ثَقَالَاتٍ، يُحْمَلُ عَلَى الْبَعِيرِ مِنْهَا أَلْفُ رَطْلٍ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا، فَلَا أَعْرِفَنَّ أَنَّهُ يُحْمَلُ عَلَى الْبَعِيرِ أَكْثَرَ مِنْ سِتْمِئَةِ رَطْلٍ.

وَكَتَبَ إِلَى صَاحِبِ السَّكَّكِ: أَنْ لَا يَحْمِلُوا أَحَدًا بِلِجَامٍ ثَقِيلٍ مِنْ هَذِهِ الرَّسْتِيَّةِ، وَلَا يَنْخَسَ - عَرُزُ مَوْخَرِهَا أَوْ جَنْبِهَا بِعُودٍ - بِمَقْرَعَةٍ - خَشَبَةٌ تُضْرَبُ بِهَا الْبِغَالُ وَالْحَمِيرُ - فِي أَسْفَلِهَا حَدِيدَةٌ^(١).

٣٨- الْحَقُّ مَعَكَ

رُوِيَ عَنْ إِيَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: مَا غَلَبَنِي أَحَدٌ قَطُّ سِوَى رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ فِي مَجْلِسِ الْقَضَاءِ بِالْبَصْرَةِ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَجُلٌ شَهِدَ عِنْدِي أَنَّ الْبُسْتَانَ الْفُلَانِيَّ - وَذَكَرَ حُدُودَهُ -

(١) «سيرة عمر بن عبد العزيز»: ص ١٦٠، لابن عبد الحكم، متوفى ٢١٤هـ.

هُوَ لِفُلَانٍ مِلْكٌ - أَي: مَالِكٌ - فَقُلْتُ لَهُ: كَمْ عَدَدُ شَجَرِهِ؟
 فَسَكَتَ! ثُمَّ قَالَ لِي: مُنْذُ كَمْ يَحْكُمُ سَيِّدُنَا الْقَاضِي فِي
 هَذَا الْمَجْلِسِ؟ فَقُلْتُ: مُنْذُ كَذَا!
 فَقَالَ: كَمْ عَدَدُ خَشَبٍ سَقَفِهِ؟ فَقُلْتُ لَهُ: الْحَقُّ مَعَكَ،
 وَأَجَزْتُ شَهَادَتَهُ^(١).

٣٩- فَأَصَابَ فَاحِشَةً، أَثِمَ الْأَبُ

قَالَ التَّابِعِيُّ قَتَادَةُ بْنُ دِعَامَةَ السَّدُوسِيُّ رضي الله عنه: كَانَ يُقَالُ: إِذَا
 بَلَغَ الْغُلَامُ فَلَمْ يَزَوْجْهُ أَبُوهُ، فَأَصَابَ فَاحِشَةً؛ أَثِمَ الْأَبُ^(٢).

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
 «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ فَإِلِمَامٌ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ
 رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ
 فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي

(١) «وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ وَأَنْبَاءُ أَبْنَاءِ الزَّمَانِ»: ٣٥٠ / ٧، لأبي عباس شمس الدين ابن
 خَلِّكَانَ، متوفى ٦٨١ هـ.

(٢) «النَّفَقَةُ عَلَى الْعِيَالِ»، ١٧٢ / ١، لابن أبي الدنيا، متوفى ٢٨١ هـ.

مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ. قَالَ: فَسَمِعْتُ هَؤُلَاءِ
 مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَحْسِبُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: وَالرَّجُلُ فِي مَالِ
 أَبِيهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ
 عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(١).

❦ - فِيهِ وَاللَّهُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الرَّفْضِ ❦

قَالَ هِلَالُ بْنُ عَطِيَّةَ لِبِشَّارٍ - وَكَانَ صَدِيقًا لَهُ يَمَازِحُهُ -:
 إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَمْ يَذْهَبْ بَصَرَ أَحَدٍ إِلَّا عَوَّضَهُ شَيْئًا، فَمَا
 عَوَّضَكَ؟ فَقَالَ: الطَّوِيلَ الْعَرِيفُ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟
 قَالَ: لَا أَرَاكَ وَلَا أُمَثِّلُكَ مِنَ الثَّقَلَاءِ، ثُمَّ قَالَ: يَا هِلَالُ!
 أَتُطِيعُنِي فِي نَصِيحَةٍ أَخْصُكَ بِهَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: إِنَّكَ كُنْتَ
 تَسْرِقُ الْحَمِيرَ زَمَانًا، ثُمَّ تَبْتَ وَصِرْتَ رَافِضِيًّا، فَعُدْ إِلَى سَرِقَةِ
 الْحَمِيرِ؛ فَهِيَ وَاللَّهُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الرَّفْضِ^(٢).

(١) متفق عليه. «أخرجه البخاري»: ٢٤٠٩، و«مسلم»: ١٨٢٩، باختلاف يسير.

(٢) «وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ وَأَنْبَاءُ أَبْنَاءِ الزَّمَانِ»: ١ / ٣٨٤، لأبي عباس أحمد ابن حُلَّكَانَ،

متوفى ٦٨١هـ.

٤١- قلب فيه خوف الفقر

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإِسْرَاءُ: ٣١].

قال الطبري: أي: خَشْيَةُ الْفَاقَةِ، وَقَدْ كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَقْتُلُونَ أَوْلَادَهُمْ خَشْيَةَ الْفَاقَةِ، فَوَعَّظَهُمُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ رِزْقَهُمْ وَرِزْقَ أَوْلَادِهِمْ عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾^(١).

وقال ابنُ كثيرٍ: هذه الآيةُ الكريمةُ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنَ الْوَالِدِ بِوَلَدِهِ؛ لِأَنَّهُ يَنْهَى تَعَالَى عَنْ قَتْلِ الْأَوْلَادِ كَمَا أَوْصَى بِالْأَوْلَادِ فِي الْمِيرَاثِ، وَكَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يورثون البنات؛ بَلْ كَانَ أَحَدُهُمْ رُبَّمَا قَتَلَ ابْنَتَهُ لِئَلَّا تُكْثِرَ عَيْلَتَهُ، فَنهى الله تعالى عن ذلك، فقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ﴾؛ أي: خَوْفَ أَنْ تَفْتَقِرُوا فِي ثَانِي

(١) تفسير الطبري «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»: ٥٧٨/١٤، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، متوفى ٣١٠هـ.

الحال، ولهذا قَدَّمَ الاهتمامَ برزقهم، فقال: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾، وفي الأنعام: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَأْتِ﴾؛ أي: من فقيرٍ ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقوله: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾؛ أي: ذنبًا عظيمًا^(١). قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِذَا اجْتَمَعَ إِبْلِيسُ وَجُنُودُهُ لَمْ يَفْرَحُوا بِشَيْءٍ كَفَرَحِهِمْ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: مُؤْمِنٌ قَتَلَ مُؤْمِنًا، وَرَجُلٌ يَمُوتُ عَلَى الْكُفْرِ، وَقَلْبٌ فِيهِ خَوْفُ الْفَقْرِ^(٢).

قَالَ الْإِمَامُ الزَّاهِدُ أَبُو ثَرَابٍ النَّخَشَبِيُّ رحمته الله: سَمِعْتُ حَاتِمًا يَقُولُ: لِي أَرْبَعَةُ نِسَوَةٍ، وَتِسْعَةُ أَوْلَادٍ، مَا طَمِعَ شَيْطَانٌ أَنْ يُوسَّوسَ إِلَيَّ فِي أَرْزَاقِهِمْ^(٣).

قِيلَ لِحَاتِمٍ الْأَصَمِّ: عَلَى مَا بَنَيْتَ أَمْرَكَ فِي التَّوَكُّلِ؟

(١) «تفسير القرآن العظيم»: ٥/٩، سورة الأنعام، للإمام عماد الدين أبي الفداء

إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، متوفى ٧٧٤هـ.

(٢) «طريق الهجرتين وباب السعادتين»: ص ٦٧، لابن قيم الجوزية، ت ٧٥١هـ.

(٣) «سير أعلام النبلاء»: ٤٨٥/١١، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن

عثمان الذهبي التركماني، متوفى ٧٤٨هـ.



قَالَ: عَلَى خِصَالٍ أَرْبَعَةٍ: عَلِمْتُ أَنَّ رِزْقِي لَا يَأْكُلُهُ غَيْرِي،
فَاطْمَأَنَنْتُ بِهِ نَفْسِي.

وَعَلِمْتُ أَنَّ عَمَلِي لَا يَعْمَلُهُ غَيْرِي، فَأَنَا مَشْغُولٌ بِهِ.

وَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَوْتَ يَأْتِي بَعْتَهُ، فَأَنَا أَبَادِرُهُ.

وَعَلِمْتُ أَنِّي لَا أَخْلُو مِنْ عَيْنِ اللَّهِ، فَأَنَا مُسْتَحٍ مِنْهُ ^(١).



عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:

«إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ،
فَإَذْنَاهُمْ مِنْهُ مَنَزِلَةٌ أَعْظَمُهُمْ فَتَنَةً، يَحِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ
كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا!

قَالَ: ثُمَّ يَحِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَقْتُ بَيْنَهُ

(١) «سير أعلام النبلاء»: ١١ / ٤٨٥، للإمام الحافظ شمس الدين محمد الذهبي،

متوفى ٧٤٨هـ.



وَبَيَّنَ أَمْرَاتِهِ. قَالَ: فَيُذْنِيهِ مِنْهُ، وَيَقُولُ: نِعَمْ أَنْتَ^(١).

٤٣- «اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ»

عَنِ الْمَقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا كَسَبَ الرَّجُلُ كَسْبًا أَطْيَبَ مِنْ عَمَلٍ يَدِهِ، وَمَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَخَادِمِهِ فَهُوَ صَدَقَةٌ»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشَّرَاجِ قَدْ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَبَعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمَسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، مَا اسْمُكَ؟

قَالَ: فُلَانٌ، لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، لِمَ تَسْأَلُنِي عَنْ اسْمِي؟

(١) «صحيح مسلم»: ٢٨١٣.

(٢) أخرجه ابن ماجه، ٢١٣٨، واللفظ له، وأحمد، ١٧١٩٠، مختصراً.

فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ - الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ -
 يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، لَا سَمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا
 إِذْ قُلْتُ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظَرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَاتَّصَدَّقُ بِثُلُثِهِ،
 وَأَكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلَاثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ. [وفي رواية]: وَأَجْعَلُ
 ثُلُثَهُ فِي الْمَسَاكِينِ، وَالسَّائِلِينَ، وَابْنَ السَّبِيلِ»^(١).

٤٤- وَأَنْتَ تَزْهَوِ بِاللَّهْوِ وَاللَّعِبِ

قال ابن القيم: أَيْنَ أَنْتَ وَالطَّرِيقُ؟
 طَرِيقُ تَعَبٍ فِيهِ آدَمُ، وَنَاحٍ لِأَجَلِهِ نُوحٌ، وَرُمِي فِي النَّارِ
 الْخَلِيلُ، وَأُضْجِعَ لِلذَّبْحِ إِسْمَاعِيلُ، وَيَبِعَ يُوسُفُ بِثَمَنِ بَخْسٍ
 وَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بَضْعَ سِنِينَ، وَنُشِرَ بِالْمُنْشَارِ زَكَرِيَّا، وَذُبِحَ
 السَّيِّدُ الْحَصُورُ يَحْيَى، وَقَاسَى الضَّرَّ أَيُّوبُ، وَزَادَ عَلَى
 الْمِقْدَارِ بُكَاءُ دَاوُدَ، وَسَارَ مَعَ الْوَحْشِ عِيسَى، وَعَالَجَ الْفَقْرَ

(١) «صحيح مسلم»: ٢٩٨٤.

وَأَنْوَاعَ الْأَدَى مُحَمَّدٌ ﷺ.. وَأَنْتَ تَزْهُو بِاللَّهْوِ وَاللَّعِبِ ^(١).

٥- فَلَمْ أَرَأَ أَحَدًا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ رَأَاهَا غَيْرَكَ

حَدَّثَ أَبُو عَلِيٍّ الْأَهْوَازِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ:
كَانَ بَيْنَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَبَيْنَ ابْنِ سِيرِينَ هَجْرَةٌ، فَكَانَ
إِذَا ذَكَرَ ابْنُ سِيرِينَ عِنْدَ الْحَسَنِ يَقُولُ: دَعُونَا مِنْ ذِكْرِ الْحَاكَةِ،
وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ ابْنِ سِيرِينَ حَائِكًا، فَرَأَى الْحَسَنُ فِي مَنْامِهِ
كَأَنَّهُ عُرْيَانٌ، وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى مَرْبَلَةٍ يَضْرِبُ بِالْعُودِ، فَأَصْبَحَ
مَهْمُومًا بِرُؤْيَاهُ. فَقَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ: امْضِ إِلَيَّ ابْنُ سِيرِينَ،
فَقُصِّ عَلَيْهِ رُؤْيَايَ عَلَى أَنَّكَ أَنْتَ رَأَيْتَهَا. فَدَخَلَ عَلَى ابْنِ
سِيرِينَ وَذَكَرَ لَهُ الرُّؤْيَا. فَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ: قُلْ لِمَنْ رَأَى هَذِهِ
الرُّؤْيَا، لَا تَسْأَلِ الْحَاكَةَ عَنْ مِثْلِ هَذَا.

فَأَخْبَرَ الرَّجُلُ الْحَسَنَ بِمَقَالَتِهِ، فَعَظُمَ لَدَيْهِ، وَقَالَ: قُومُوا
بِنَا إِلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَاهُ ابْنُ سِيرِينَ، قَامَ إِلَيْهِ وَتَصَافَحَا وَسَلَّم كُلُّ

(١) «الفوائد»: ص ٤٢، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم

الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.

وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ، وَجَلَسَا يَتَعَاتَبَانِ، فَقَالَ الْحَسَنُ:
دَعْنَا مِنْ هَذَا، فَقَدْ شَغَلَتِ الرُّؤْيَا قَلْبِي، فَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ: لَا
تَشْغَلْ قَلْبَكَ؛ فَإِنَّ الْعَرِيَّ عَرِيٌّ مِنَ الدُّنْيَا، لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا
عَلَقَةٌ، وَأَمَّا الْمَرْبَلَةُ فَهِيَ الدُّنْيَا وَقَدْ انْكَشَفَتْ لَكَ أَحْوَالُهَا،
فَأَنْتَ تَرَاهَا كَمَا هِيَ فِي ذَاتِهَا، وَأَمَّا ضَرْبُكَ بِالْعُودِ، فَإِنَّهُ
الْحِكْمَةُ الَّتِي تَتَكَلَّمُ بِهَا وَيَنْتَفِعُ بِهَا النَّاسُ. فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ:
فَمَنْ أَيْنَ لَكَ أَنِّي أَنَا رَأَيْتُ هَذِهِ الرُّؤْيَا؟ قَالَ ابْنُ سِيرِينَ: لَمَّا
قَصَّهَا عَلَيَّ فَكَرْتُ، فَلَمْ أَرِ أَحَدًا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ رَأَاهَا غَيْرُكَ.
وَقَالَ رَجُلٌ لَابْنِ سِيرِينَ قَبْلَ مَوْتِ الْحَسَنِ: رَأَيْتُ كَأَنَّ
طَائِرًا أَخَذَ أَحْسَنَ حَصَاةٍ بِالمَسْجِدِ! فَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ: إِنَّ
صَدَقْتُ رُؤْيَاكَ؛ مَاتَ الْحَسَنُ. فَلَمْ يَكُنْ غَيْرَ قَلِيلٍ حَتَّى مَاتَ
الْحَسَنُ. وَلَمْ يَحْضُرْ ابْنُ سِيرِينَ جَنَازَتَهُ لِشَيْءٍ كَانَ بَيْنَهُمَا، ثُمَّ
تَوَفَّى ابْنُ سِيرِينَ بَعْدَهُ بِمِائَةِ يَوْمٍ ^(١).

(١) «الوافي بالوفيات»: ١٢ / ١٩١، لصاح الدين خليل بن أبيك الصفدي، متوفى

٤٦- حادثة نبش قبر رسول الله ﷺ

قال الجمال الإسنوي في رسالة له في منع الولاة من استعمال النصارى: إن الملك العادل نور الدين الشهيد (٥١١هـ- ٥٦٩هـ)، رأى النبي ﷺ في نومه في ليلة ثلاث مرات، وهو يُشير إلى رجلين أشقرين ويقول: أنجِدني أنقِذني من هذين.

فأرسل إلى وزيره وتجهّزا في بقية ليلتهما على رواحِل خفيفة في عشرين نفراً، وصحبَ مالا كثيراً، وقدم المدينة في ستة عشر يوماً، فزارا، ثم أمرَ بإحضار أهل المدينة بعدَ كتابتهم، وصارَ يتصدّق عليهم ويتأمل تلك الصفة إلى أن انفَضَّت النَّاسُ، فقال: هل بقي أحدٌ؟ قالوا: لم يبقَ سوى رجلين صالحين عفيفين مغربيين يكثران الصدقة، فطلبهما فرآهما فإذا هما الرجلان اللذان أشار إليهما النبي ﷺ فسأل عن منزلهما، فأخبر أنهما في رباطٍ بقرب الحجرة، فأمسكهما ومضى إلى منزلهما، فلم يرَ إلا خيمتين وكتباً في

الرَّقَائِقِ وَمَالًا كَثِيرًا، فَأَثْنَى عَلَيْهِمَا أَهْلُ الْمَدِينَةِ بِخَيْرٍ كَثِيرٍ،
فَرَفَعَ السُّلْطَانُ حَصِيرًا فِي الْبَيْتِ فَرَأَى سَرْدَابًا مُحْفُورًا يَنْتَهِي
إِلَى صَوْبِ الْحَجَرَةِ، فَارْتَاعَتِ النَّاسُ لَذَلِكَ، وَقَالَ لَهُمَا
السُّلْطَانُ: أَصْدِقَانِي وَضَرْبَهُمَا ضَرْبًا شَدِيدًا، فاعترفَا أَنَّهُمَا
نَصْرَانِيَانِ بَعْثَهُمَا سُلْطَانُ النَّصَارَى فِي زِيِّ حَجَّاجِ الْمَغَارِبَةِ،
وَأَمَالَهُمَا بِأَمْوَالٍ عَظِيمَةٍ، لِيَتَحِيلَا فِي الْوُصُولِ إِلَى الْجَنَابِ
الشَّرِيفِ وَنَقْلِهِ وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ، فَتَزَلَا بِأَقْرَبِ رِبَاطٍ وَصَارَا
يَحْفِرَانِ لَيْلًا وَلِكُلِّ مِنْهُمَا مُحْفَظَةٌ جِلْدٍ، وَالَّذِي يَجْتَمِعُ مِنَ
التُّرَابِ يُخْرِجَانِهِ فِي مُحْفَظَتَيْهِمَا إِلَى الْبَقِيعِ، بَعْلَةَ الزَّيَارَةِ فَلَمَّا
قَرَّبَا مِنَ الْحَجَرَةِ الشَّرِيفَةِ أَرْعَدَتِ السَّمَاءُ وَأَبْرَقَتْ، وَحَصَلَ
رَجِيفٌ عَظِيمٌ فَقَدِمَ السُّلْطَانُ صَبِيحَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا ظَهَرَ
حَالُهُمَا بَكَى السُّلْطَانُ بُكَاءً شَدِيدًا، وَأَمَرَ بِضَرْبِ رِقَابِهِمَا
فَقُتِلَا تَحْتَ الشَّبَّاكِ الَّذِي يَلِي الْحَجَرَةَ الشَّرِيفَةَ.

ثُمَّ أَمَرَ بِإِحْضَارِ رَصَاصٍ عَظِيمٍ، وَحَفَرَ خَنْدَقًا عَظِيمًا إِلَى
الْمَاءِ حَوْلَ الْحَجَرَةِ الشَّرِيفَةِ كُلِّهَا، وَأُذِيبَ ذَلِكَ الرَّصَاصُ



وَمُلِيَ بِهِ الْخَنْدَقُ، فَصَارَ حَوْلَ الْحُجْرَةِ الشَّرِيفَةِ كُلِّهَا سُورًا
رَصَاصًا إِلَى الْمَاءِ، انْتَهَى ^(١).

وَتَعَرَّضَ قَبْرُ النَّبِيِّ ﷺ لِمُحَاوَلَاتِ بَشٍّ مِنْ قِبَلِ الْعُبَيْدِيِّينَ
الرَّاغِبِينَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ فِي عَهْدِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ الْعُبَيْدِيِّ، حَيْثُ
حَاوَلَ بَشٌّ قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَرْسَلَ مَنْ يَسْكُنُونَ بِدَارِ جَوَارِ
الْحَرَمِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ، أَنْ يَحْفَرُوا نَفَقًا مِنَ الدَّارِ بِاتِّجَاهِ
الْقَبْرِ، وَسَمِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ الْمُتَوَرِّةَ مُنَادِيًا يُنَادِي فِيهِمْ بِأَنْ قَبِرَ
نَبِيِّكُمْ يُبَشِّ، فَبَحَثُوا وَفَتَشُوا فِي النَّاسِ فَوَجَدُوهُمْ ثُمَّ قَتَلُوهُمْ.
وَيَقُولُ السَّخَاوِيُّ عَنْهُمْ: وَمَنْ أَغْرَبَ مَا اتَّفَقَ لَهُ، مِمَّا أَوْرَدَهُ
ابْنُ النَّجَّارِ بِسَنَدِهِ: أَنَّ بَعْضَ الزَّنادِقَةِ أَشَارَ عَلَى الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ
الْعُبَيْدِيِّ بِبَشِّ الْقَبْرِ الشَّرِيفِ، وَحَمَلَهُ ﷺ وَصَاحِبِيهِ ﷺ إِلَى
مَضْرٍ لِيَتَكُونَ مَحَطًّا لِلرَّحَالِ، فَأَنْفَذَ لِأَبِي الْفُتُوحِ يَأْمُرُهُ بِذَلِكَ،
فَسَارَ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَحَضَرَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِهَا مِمَّنْ عَلِمَ
سَبَبَ قُدُومِهِ، وَمَعَهُمْ قَارِئٌ يُعْرِفُ بِالرُّكْبَانِيِّ، فَقَرَأَ بَيْنَ يَدَيْهِ:

(١) «خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى»، ص ٣١٤، تأليف: العلامة أبي الحسن

علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السهمودي، متوفى ٩١١ هـ.



﴿وَأِنْ تَكَثَّرُوا آمَنَتْهُمْ مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتَلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ [التَّوْبَةُ: ١٢]

إلى قوله ﴿فَقَتَلُوهُمْ يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التَّوْبَةُ: ١٤] فَمَاجِ النَّاسِ، وَكَادُوا أَنْ يَقْتُلُوا أَبَا الْفُتُوحِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْجُنْدِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ، قَالَ لَهُمْ: اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُخْشَى، وَاللَّهُ لَا أَتَعَرَّضُ لَشَيْءٍ مِنْ هَذَا، وَدَعِ الْحَاكِمَ يَفْعَلْ فِيَّ مَا أَرَادَ، ثُمَّ اسْتَوَلَى عَلَيْهِ ضَيْقُ الصَّدْرِ، وَتَقْسِيمُ الْفِكْرِ كَيْفَ أَجَابَ؟ فَمَا غَابَتِ الشَّمْسُ مِنْ بَقِيَّةِ يَوْمِهِ حَتَّى أَرْسَلَ اللَّهُ مِنَ الرِّيحِ مَا كَادَتْ الْأَرْضُ تُزَلْزَلُ مِنْهُ، وَتَدْخَرُجَتِ الْإِبِلُ بِأَقْتَابِهَا، وَالْخَيْلُ بِسُرُوجِهَا، كَمَا تُدْخَرُجُ الْكُرَّةُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَهَلَكَ خَلْقٌ كَثِيرُونَ مِنَ النَّاسِ، وَانْفَرَجَ هَمُّ أَبِي الْفُتُوحِ بِمَا أَرْسَلَهُ مِنْ تِلْكَ الرِّيحِ، الَّتِي شَاعَ ذِكْرُهَا فِي الْأَفَاقِ، لِيَكُونَ حُجَّةً لَهُ عِنْدَ الْحَاكِمِ، وَفِي تَرْجَمَتِهِ غَيْرُ هَذِهِ الْغَرِيبَةِ مِنَ الْغَرَائِبِ، طَوَّلَهُ الْفَاسِي^(١).

(١) «التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة»: ١/ ٢٧٣، للإمام شمس الدين

السخاوي، متوفى ٩٠٢ هـ.

٤٧- جزاء من انتقص من النبي ﷺ

يَقُولُ ابْنُ حَجَرٍ: ذَكَرَ عَنْ جَمَالِ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّيْبِيِّ، أَنَّ بَعْضَ أُمَرَاءِ الْمُغْلِ (الْمَغُولِ) تَنَصَّرَ فَحَضَرَ عِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ كِبَارِ النَّصَارَى وَالْمُغْلِ، فَجَعَلَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ يَنْتَقِصُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُنَاكَ كَلْبٌ صَيْدٍ مَرْبُوطٌ، فَلَمَّا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ وَثَبَ عَلَيْهِ الْكَلْبُ فَخَمَشَهُ فَخَلَّصُوهُ مِنْهُ، وَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ: هَذَا بِكَلامِكَ فِي مُحَمَّدٍ ﷺ فَقَالَ: كَلَّا، بَلْ هَذَا الْكَلْبُ عَزِيزُ النَّفْسِ رَأَى أَشِيرُ بِيَدِي، فَظَنَّ أَنِّي أُرِيدُ أَنْ أَضْرِبَهُ ثُمَّ عَادَ إِلَى مَا كَانَ فِيهِ، فَأُطَالَ فَوَثَبَ الْكَلْبُ مَرَّةً أُخْرَى فَقَبَضَ عَلَى زُرْدَمَتِهِ فَقَلَعَهَا فَمَاتَ مِنْ حِينِهِ، فَأَسْلَمَ بِسَبَبِ ذَلِكَ نَحْوُ أَرْبَعِينَ أَلْفًا مِنَ الْمُغْلِ ^(١).



(١) «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة»: ٧٦/٣، للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، متوفى ٨٥٢ هـ.



٤٨- مَا خَلَا الشُّرْكَ

سَمِعْتُ الرَّبِيعَ بْنَ سُلَيْمَانَ يَقُولُ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ رحمته الله يَقُولُ: لَأَنْ يَلْقَى اللَّهُ ﷻ الْعَبْدُ بِكُلِّ ذَنْبٍ مَا خَلَا الشُّرْكَ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَهْوَاءِ ^(١).

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَفْرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجمانية: ٢٣].

٤٩- إِنَّمَا أَوْصَلَهُ إِلَى ذَلِكَ مُخَالَفَةُ هَوَاهُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [التَّائِبَاتِ: ٤٠].

أي: خاف القيام بين يدي الله ﷻ وخاف حكم الله فيه،

(١) رواه الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: ١٠/١٦؛ وتاريخ دمشق ٣٠٩/٥١ لابن عساكر.

ونهى نفسه عن هواها، وردّها إلى طاعة مولّاها^(١).

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [الْقَصَص: ٥٠].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإمامُ العادلُ، وشابٌّ نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدّق، أخفى حتّى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»^(٢).

وقال ابن القيم رحمه الله: إِذَا تَأَمَّلْتَ السَّبْعَةَ الَّذِينَ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ ﷻ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، وَجَدْتَهُمْ إِنَّمَا نَالُوا

(١) «تفسير القرآن العظيم»: ٢٥٤ / ٧، تفسير سورة النازعات، للإمام عماد الدين

أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، متوفى ٧٧٤هـ.

(٢) «صحيح البخاري»: ٦٦٠.



ذَلِكَ الظِّلُّ بِمُخَالَفَةِ الْهَوَىٰ.

فَإِنَّ الْإِمَامَ الْمُسَلَّطَ الْقَادِرَ لَا يَتِمَكَّنُ مِنَ الْعَدْلِ إِلَّا بِمُخَالَفَةِ هَوَاهُ؛ لِأَنَّ عِنْدَهُ مِنَ الْقُوَّةِ وَالتُّقُوذِ وَالسَّيْطَرَةِ مَا يَسْتَطِيعُ بِهِ بِسُهُولَةٍ أَنْ يُتَابَعَ هَوَاهُ، فَلَمَّا قَاوَمَ نَفْسَهُ، وَقَاوَمَ هَوَاهُ وَحَكَّمَ شَرْعَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَمْ يَتَّبِعْ شَهَوَاتِهِ، وَعَدَلَ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ؛ كَانَ لَهُ الظِّلُّ يَوْمَ أَنْ تَذْنُو الشَّمْسُ مِنْ رُؤُوسِ الْعِبَادِ.

وَالشَّابُّ الْمُؤَثِّرُ عِبَادَةَ اللَّهِ عَلَى دَاْعِي الشَّبَابِ، لَوْلَا مُخَالَفَةُ هَوَاهُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ.

وَالرَّجُلُ الَّذِي قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ، إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ مُخَالَفَةُ هَوَاهُ الدَّاعِي لَهُ إِلَى أَمَاكِنِ اللذَّاتِ، وَصَارَ يَذْهَبُ إِلَى أَمَاكِنِ الْعِبَادَةِ وَالْمَسَاجِدِ، أَعْقَبَ اللَّهُ ﷻ لَهُ الْأَجَرَ الْجَزِيلَ بِأَنْ أَظَلَّهُ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ.

وَالْمُتَصَدِّقُ الْمُخْفِي لِصَدَقَتِهِ عَنْ شِمَالِهِ لَوْلَا قَهْرُهُ لَهُوَاهُ، هَوَى الرِّبَا، وَهَوَى أَنْ يُشَاهِدَهُ النَّاسُ، وَأَنْ يَتَحَدَّثُوا عَنْ كَرَمِهِ، لَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ.



وَالَّذِي دَعَتْهُ الْمَرْأَةُ الشَّرِيفَةُ الْجَمِيلَةُ، فَخَافَ اللَّهُ ﷻ وَخَالَفَ هَوَاهُ؛ نَالَ نَفْسَ الْكَرَامَةِ.

وَالَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَتِهِ، إِنَّمَا أَوْصَلَهُ إِلَى ذَلِكَ مُخَالَفَةُ هَوَاهُ.

فَلَمْ يَكُنْ لِحَرِّ الْمَوْقِفِ وَعَرْقِهِ وَشِدَّتِهِ سَبِيلًا عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(١).

٥- فَوَاللَّهِ، لَا أُؤْذِيكَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنْ لِي جَارًا يُؤْذِينِي، فَقَالَ: «انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَتَاعَكَ إِلَى الطَّرِيقِ».

فَانْطَلَقَ فَأَخْرَجَ مَتَاعَهُ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَقَالُوا: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: لِي جَارٌ يُؤْذِينِي، فَذَكَرْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَتَاعَكَ إِلَى الطَّرِيقِ».

فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ الْعَنَّهُ، اللَّهُمَّ أَخْزِهِ!

(١) «روضة المحبين ونزهة المشتاقين»: ص ٢٨٢، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.

فَبَلَغَهُ فَاتَاهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى مَنْزِلِكَ فَوَاللَّهِ، لَا أُؤْذِيكَ ^(١).

٥١- مَا خَرَجَ هَذَا إِلَّا مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبْوَةٍ

عَنِ التَّابِعِيِّ أَبِي الْجَوَيْرِيَةِ الْجَرَمِيِّ الْكُوفِيِّ رحمته الله قَالَ:
كَتَبَ قَيْصَرُ إِلَى مُعَاوِيَةَ: أَخْبِرْنِي عَمَّنْ لَا قِبْلَةَ لَهُ، وَعَمَّنْ لَا
أَبَ لَهُ، وَعَمَّنْ لَا عَشِيرَةَ لَهُ، وَعَمَّنْ سَارَ بِهِ قَبْرُهُ، وَعَنْ أَشْيَاءَ لَمْ
تُخْلَقْ فِي رَحِمٍ، وَعَنْ شَيْءٍ، وَنُصِفَ شَيْءٌ، وَلَا شَيْءٌ؟ وَابْعَثْ
إِلَيَّ فِي هَذِهِ الْقَارُورَةِ بِنَزَرٍ كُلِّ شَيْءٍ.

فَبَعَثَ مُعَاوِيَةُ بِالْكِتَابِ وَالْقَارُورَةِ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ.
وَقِيلَ: إِنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ بَعَثَ إِلَيْهِ بِالْكِتَابِ وَالْقَارُورَةِ.
أَمَّا مَنْ لَا قِبْلَةَ لَهُ فَالْكَعْبَةُ.
وَأَمَّا مَنْ لَا أَبَ لَهُ فَعِيسَى.
وَأَمَّا مَنْ لَا عَشِيرَةَ لَهُ فَآدَمُ.
وَأَمَّا مَنْ سَارَ بِهِ قَبْرُهُ فَيُونُسُ.

(١) «الأدب المفرد»: ص ١٢٤، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري،

متوفى ٢٥٦ هـ.

وَأَمَّا ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ لَمْ تُخْلَقْ فِي رَحِمِ فَكَبْشِ إِبْرَاهِيمَ، وَنَاقَةِ
ثُمُودَ، وَعَصَا مُوسَى.

وَأَمَّا شَيْءٌ فَالرَّجُلُ لَهُ عَقْلٌ يَعْمَلُ بِعَقْلِهِ، وَأَمَّا نِصْفُ شَيْءٍ
فَالَّذِي لَيْسَ لَهُ عَقْلٌ وَيَعْمَلُ بِرَأْيِ ذَوِي الْعُقُولِ.

وَأَمَّا لَا شَيْءَ فَالَّذِي لَيْسَ بِهِ عَقْلٌ يَعْمَلُ بِعَقْلِهِ.

وَمَلَأَ الْقَارُورَةَ مَاءً، وَقَالَ: هَذَا بِزُرٍ كُلِّ شَيْءٍ.

فَبَعَثَ مُعَاوِيَةَ بِالْبِزْرِ وَالْقَارُورَةِ إِلَى قَيْصَرَ؛ فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ
الكِتَابُ وَالْقَارُورَةُ قَالَ: مَا خَرَجَ هَذَا إِلَّا مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نُبُوَّةٍ ^(١).

٥٢- لَو رَأَيْتُ فِي الْجَزَعِ مَذْرَكًا مَا اخْتَرْتُ عَلَيْهِ

ذَكَرَ سَعِيدُ أَبُو عُثْمَانَ، وَهُوَ ثِقَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، قَالَ:
نَظَرَ رَجُلٌ إِلَى امْرَأَةٍ فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَذَا الْحُسْنِ وَهَذِهِ
النِّصَارَةِ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ قِلَّةِ الْحُزْنِ.

(١) «تاريخ مدينة دمشق»: ٧٣ / ٢٠١، للإمام العالم الحافظ أبي القاسم علي

ابن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بـ(ابن عساكر)

متوفى ٥٧١ هـ.

فَقَالَتْ: يَا عَبْدَ اللَّهِ! وَاللَّهِ إِنِّي لَيَذْبَحُنِي الْحُزْنُ مَا يُشْرِكُنِي
 فِيهِ أَحَدًا! قَالَ: وَكَيْفَ؟ قَالَتْ: ذَبَحَ زَوْجِي شَاةً مُضَحِّيًّا، وَلِي
 صَبِيَّانِ يَلْعَبَانِ، فَقَالَ أَكْبَرُهُمَا لِلأَصْغَرِ: أُرِيكَ كَيْفَ صَنَعَ
 أَبِي بِالشَّاةِ؟ فَعَلَّقَهُ فَذَبَحَهُ، فَمَا شَعَرْنَا بِهِ إِلَّا مُتَشَحِّطًا - أَيِ:
 مُضَرَّجًا بِدَمِهِ - فَلَمَّا اسْتَعَلَّتِ الصَّبَّاءُ هَرَبَ الْغُلَامُ نَاحِيَةَ
 الْجَبَلِ، فَزَهَّقَهُ - أَيِ: لَحِقَهُ - ذَنْبٌ فَأَكَلَهُ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، وَاتَّبَعَهُ
 أَبُوهُ يَطْلُبُهُ فَمَاتَ عَطْشًا، فَأَفْرَدَنِي الدَّهْرُ.
 قَالَ: فَكَيْفَ صَبْرُكِ؟ قَالَتْ: لَوْ رَأَيْتُ فِي الْجَزَعِ مُدْرَكًا
 مَا اخْتَرْتُ عَلَيْهِ ^(١).

٥٣- فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبُ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ
 مُحَمَّدِ بْنِ خَلَادٍ قَالَ: قَدِمَ رَجُلٌ عَلَى بَعْضِ السَّلَاطِينِ، وَكَانَ

(١) «صفة الصفوة»: ٣٥٣/٢، للإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن
 محمد بن علي القرشي البغدادي المعروف بابن الجوزي، متوفى ٥٩٧هـ.

مَعَهُ حَاكِمٌ أَرْمِينِيَّةٌ مُنْصَرِفًا إِلَى مَنْزِلِهِ، فَمَرَّ فِي طَرِيقِهِ بِمَقْبَرَةٍ،
فَإِذَا قَبْرٌ عَلَيْهِ قُبَّةٌ مَبْنِيَّةٌ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا: هَذَا قَبْرُ الْكَلْبِ فَمَنْ أَحَبَّ
أَنْ يَعْلَمَ خَبْرَهُ، فَلْيَمْضِ إِلَى قَرْيَةِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ فِيهَا مَنْ يُخْبِرُهُ.

فَسَأَلَ الرَّجُلُ عَنِ الْقَرْيَةِ فَدَلَّوْهُ عَلَيْهَا فَقَصَدَهَا، وَسَأَلَ
أَهْلَهَا فَدَلَّوْهُ عَلَى شَيْخٍ فَبَعَثَ إِلَيْهِ وَأَحْضَرَهُ وَإِذَا شَيْخٌ قَدْ
جَاوَزَ الْمِائَةَ سَنَةً فَسَأَلَهُ فَقَالَ: نَعَمْ كَانَ فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ مَلِكٌ
عَظِيمُ الشَّانِ وَكَانَ مُسْتَهْتَرًا بِالنُّزْهَةِ وَالصَّيْدِ وَالسَّفَرِ وَكَانَ لَهُ
كَلْبٌ قَدْ رَبَّاهُ وَسَمَّاهُ بِاسْمٍ وَكَانَ لَا يُفَارِقُهُ حَيْثُ كَانَ، فَإِذَا
كَانَ وَقْتُ غِذَائِهِ وَعَشَائِهِ أَطْعَمَهُ مِمَّا يَأْكُلُ.

فَخَرَجَ يَوْمًا إِلَى بَعْضِ مُنْتَزَهَاتِهِ وَقَالَ لِبَعْضِ غِلْمَانِهِ: قُلْ
لِلطَّبَّاحِ يُصْلِحْ لَنَا ثَرِيدَةً لَبَنٍ فَقَدْ اشْتَهَيْتُهَا فَأَصْلَحُوهَا وَمَضَى
إِلَى مُنْتَزَهَاتِهِ.

فَوَجَّهَ الطَّبَّاحُ فَجَاءَ بِلَبَنٍ وَصَنَعَ لَهُ ثَرِيدَةً عَظِيمَةً وَنَسِيَ
أَنْ يُعْطِيَهَا بِشَيْءٍ وَاشْتَغَلَ بِطَبْخِ شَيْءٍ آخَرَ، فَخَرَجَ مِنْ
بَعْضِ شُقُوقِ الْحَيْطَانِ أَفْعَى، فَكَرَعَ مِنْ ذَلِكَ اللَّبَنِ وَمَجَّ فِي



الثَّريْدَةِ مِنْ سُمِّهِ وَالْكَلْبُ رَابِضٌ يَرَى ذَلِكَ كُلَّهُ، وَلَوْ كَانَ لَهُ فِي الْأَفْعَى حِيلَةٌ لَمَنَعَهَا، وَلَكِنْ لَا حِيلَةَ لِلْكَلْبِ فِي الْأَفْعَى وَالْحَيَّةِ، وَكَانَ عِنْدَ الْمَلِكِ جَارِيَةٌ خَرَسَاءُ زَمَنَةً - مرض ملازم - قَدْ رَأَتْ مَا صَنَعَتِ الْأَفْعَى. وَوَافَى الْمَلِكُ مِنَ الصَّيْدِ فِي آخِرِ النَّهَارِ فَقَالَ: يَا غُلْمَانُ أَوَّلُ مَا تُقَدِّمُونَ إِلَيَّ الثَّريْدَةَ، فَلَمَّا قَدَّمُوهَا بَيْنَ يَدَيْهِ أَوْمَأَتِ الْخَرَسَاءُ إِلَيْهِمْ فَلَمْ يَفْهَمُوا مَا تَقُولُ وَنَبَحَ الْكَلْبُ وَصَاحَ، فَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَيْهِ وَالْحَّ فِي الصِّيَاحِ لِيُعْلِمَهُمْ مُرَادَهُ فِيهِ.

ثُمَّ رَمَى إِلَيْهِ بِمَا كَانَ يَرْمِي إِلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ فَلَمْ يَقْرَبْهُ وَلَجَّ فِي الصِّيَاحِ.

فَقَالَ لِغُلَمَانِهِ: نَحْوُهُ عَنَّا فَإِنَّ لَهُ قِصَّةً وَمَدَّ يَدَهُ إِلَى اللَّبَنِ، فَلَمَّا رَأَاهُ الْكَلْبُ يُرِيدُ أَنْ يَأْكُلَ وَثَبَ إِلَى وَسْطِ الْمَائِدَةِ، فَأَدْخَلَ فَمَهُ فِي اللَّبَنِ وَكَرَعَ مِنْهُ فَسَقَطَ مِيتًا وَتَنَازَرَّ لَحْمُهُ. وَبَقِيَ الْمَلِكُ مُتَعَجِّبًا مِنْهُ وَمِنْ فِعْلِهِ فَأَوْمَأَتِ الْخَرَسَاءُ إِلَيْهِمْ فَعَرَفُوا مُرَادَهَا بِمَا صَنَعَ الْكَلْبُ.



فَقَالَ الْمَلِكُ لِنُدَمَائِهِ - غلمانَه - وَحَاشِيَتِهِ : إِنَّ كَلْبًا قَدْ
فَدَانِي بِنَفْسِهِ لِحَقِيقٍ بِالْمُكَافَاةِ وَمَا يَحْمِلُهُ وَيَدْفِنُهُ غَيْرِي وَدَفَنَهُ
بَيْنَ أَبِيهِ وَأُمِّهِ وَبَنَى عَلَيْهِ قُبَّةً، وَكَتَبَ عَلَيْهَا مَا قَرَأْتَ وَهَذَا مَا
كَانَ مِنْ خَبَرِهِ ^(١).

٥- لَأَنْ أُنْدَمَ فِي الْعَفْوِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَجَزَاؤُ سِنِّيَّةٍ سِنِّيَّةٍ مِثْلَهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ
فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ
مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ
إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ» ^(٢).

وَكَانَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ رضي الله عنه يَقُولُ: لَأَنْ أُنْدَمَ فِي الْعَفْوِ،

(١) «فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب»، تأليف: أبي بكر محمد بن خلف

ابن المرزبان ابن بسام المحولي البغدادي الآجري، متوفى ٣٠٩ هـ/ ٩٢١ م.

(٢) «صحيح مسلم»: ٢٥٨٨.

أَحَبُّ إِلَيَّ مَنْ أَنْدَمَ عَلَى الْعُقُوبَةِ ^(١).

٥٥- مَرَارَةُ الصَّبْرِ

قَالَ ابْنُ قَيْمٍ الْجَوْزِيَّةُ رحمته الله: مَنْ تَلَمَّحَ حَلَاوَةَ الْعَافِيَةِ؛ هَانَتْ عَلَيْهِ مَرَارَةُ الصَّبْرِ. وَقَالَ: مَا ذُكِرَ اللَّهُ تعالى عَلَى صَعْبٍ إِلَّا هَانَ. وَلَا عَلَى عَسِيرٍ إِلَّا تَيْسَّرَ، وَلَا مَشَقَّةٍ إِلَّا خَفَّتْ، وَلَا شِدَّةٍ إِلَّا زَالَتْ، وَلَا عَلَى كُرْبَةٍ إِلَّا انْفَرَجَتْ ^(٢).

وقال عبد الله: الْمُؤْمِنُ يَحْتَاجُ إِلَى الصَّبْرِ؛ كَمَا يَحْتَاجُ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ^(٣).

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ

(١) «الآداب الشرعية»: ص ١٤٣، لأبي عبد الله شمس الدين المقدسي، متوفى ٧٦٣هـ.

(٢) «بدائع الفوائد»: ص ٥٧، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.

(٣) «الصبر والثواب عليه»: ص ٨٤، لعبد الله القرشي المعروف بـ(ابن أبي الدنيا)، متوفى ٢٨١هـ.

ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر].

٥٦- لا ولكن يعذبك على خلاف السنة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى

فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ [النساء: ٨٠].

قال أبو جعفر: وهذا إعداؤٌ من الله إلى خلقه في نبيه محمد ﷺ يقول الله تعالى ذكره لهم: مَنْ يُطِيعُ مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ محمداً فقد أطاعني بطاعته إياها، فاسمعوا قوله وأطيعوا أمره، فإنه مهما يأمركم به من شيء فمن أمري يأمركم، وما نهاكم عنه من شيء فمن نهبي ^(١).

وعن أبي رباح، عن سعيد بن المسيب، أنه رأى رجلاً يُصلي بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين يكثر فيها الركوع والسجود فنهاه، فقال: يا أبا محمدٍ يعذبني الله على الصلاة؟ قال: لا ولكن يعذبك على خلاف السنة ^(٢).

(١) تفسير الطبري «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»: ١٨٦/٥، للإمام أبي جعفر

محمد بن جرير الطبري، متوفى ٣١٠هـ.

(٢) «السنن الكبرى»: ٦٥٤/٢، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي

البيهقي، متوفى ٤٥٨ هـ.

٥٧- الْمُلُوكُ قَصْدُهُمُ الدُّنْيَا

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رحمته الله: فَلِهَذَا لَمَّا غَلَبَ عَلَى أَكْثَرِ الْمُلُوكِ قَصْدُ الدُّنْيَا دُونَ الدِّينِ؛ قَدَّمُوا فِي وِلَايَتِهِمْ مَنْ يُعِينُهُمْ عَلَى تِلْكَ الْمَقَاصِدِ - الدُّنْيَا - وَكَانَ مَنْ يَطْلُبُ رِئَاسَةَ نَفْسِهِ - يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُ - يُؤَثِّرُ تَقْدِيمَ مَنْ يُقِيمُ - يُسَانِدُ - رِئَاسَتَهُ؛ فَإِذَا كَانَ هَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ فَإِنَّهُ يَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ بِالْأَقْرَبِ فَلَا أَقْرَبَ - مَنْ أَقْرَبَ إِلَيْهِ وَنَظَرَّاهُ - وَيَنْظُرُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ، أَيُّهُمَا أَقْرَبُ إِلَى الْمَقْصُودِ وَلِيَّ - أَي: يُسَانِدُهُ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا، وَإِنْ كَانَ وَجِدَ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ وَأَدِينُ وَأَصْدَقُ - ^(١).

٥٨- حَتَّى يَصِيرَ لَا يَعْرِفُنَا وَلَا نَعْرِفُهُ

كَانَ مُسْلِمُ بْنُ قُتَيْبَةَ رحمته الله يَقُولُ: مِنْ أَعْظَمِ الْمُرُوءَةِ الصَّبْرُ عَلَى أَذَى الرَّجَالِ.

(١) «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية»: ص ٢٨، لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين الحراني. متوفى ٧٢٨هـ، بتصرف.

وَلَقَدْ أَدْرَكْنَا النَّاسَ وَهُمْ يَعُدُّونَ الْإِمَارَةَ أَعْظَمَ بَلَاءٍ،
وَنَرَاهُمْ الْيَوْمَ يَطْلُبُونَهَا!

وَكَانُوا إِذَا تَوَلَّى صَدِيقُهُمُ الْإِمَارَةَ يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ! أَنْسِهِ
ذِكْرَنَا حَتَّى يَصِيرَ - أَيِ: الْأَمِيرِ - لَا يَعْرِفُنَا وَلَا نَعْرِفُهُ^(١).

٥٩- لِمَاذَا سَقَطَتْ قُرْطُبَةٌ؟

قال الشعراني: بَلَغَ مِنْ اسْتِخْفَافِ أَهْلِ قُرْطُبَةَ بِالْإِسْلَامِ
فِي هَذِهِ الْفِتْنَةِ، أَنَّ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا وَقَفَ فِي أَعْظَمِ شَوَارِعِ
قُرْطُبَةَ، فَقَالَ وَنَالَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُكَلِّمْهُ أَحَدٌ بِكَلِمَةٍ، فَقَالَ
رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غَيْرَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَلَا تُتَكَبَّرُونَ مَا تَسْمَعُونَ،
أَمَّا أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ؟!

فَقَالَ لَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ قُرْطُبَةَ: امْضِ لِشُغْلِكَ، وَكَانَ
الْإِفْرَنْجُ إِذَا سَمِعُوا الْأَذَانَ لِلصَّلَاةِ يَقُولُونَ قَوْلًا لَا يُذَكِّرُ، فَلَا
يَعْتَزُّ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ بِشَيْءٍ.

(١) «تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر»:

ص ٤٣، لأبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني، متوفى ٩٧٣ هـ.

وَسَأَلُوا الْقَاضِيَّ ابْنَ ذَكْوَانَ^(١) أَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِمْ مَالَ الْأَخْبَاسِ
الْمُودَعِ فِي مَقْصُورَةِ الْجَامِعِ فَاِمْتَنَعَ عَلَيْهِمْ، فَكَسَرُوا بَابَ
الْمَقْصُورَةِ وَأَخَذُوا، فَدَفَعُوهُ إِلَى الْإِفْرَنْجِ^(٢).

٦٠- «ظَهَرَ الْفَسَادُ»

قال ابن كثير: مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ
وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ (الروم: ٤١).

أَيُّ: بَانَ النَّقْصُ فِي الثَّمَارِ وَالزُّرُوعِ بِسَبَبِ الْمَعَاصِي، وَقَالَ
أَبُو الْعَالِيَةِ: مَنْ عَصَى اللَّهَ فِي الْأَرْضِ فَقَدْ أَفْسَدَ فِي الْأَرْضِ؛
لِأَنَّ صَلَاحَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ بِالطَّاعَةِ، وَلِهَذَا جَاءَ فِي حَدِيثٍ
رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ: «لَحْدٌ يُقَامُ فِي الْأَرْضِ أَحَبُّ إِلَى أَهْلِهَا مِنْ أَنْ
يُمَطَّرُوا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا»^(٣) وَالسَّبَبُ فِي هَذَا أَنَّ الْحُدُودَ إِذَا
أُقِيمَتْ، انْكَفَى النَّاسُ - أَوْ أَكْثَرُهُمْ - عَنْ تَعَاطِي الْمُحَرَّمَاتِ،
(١) هو أبو عباس الأموي، متوفى ٤١٣ هـ.

(٢) «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب»: ٣/ ٩٧-٩٨، لابن عذاري

المراكشي، متوفى ٧١٢ هـ.

(٣) رواه ابن ماجه ٢٥٣٨، وصححه الألباني.

وَإِذَا ارْتَبِكْتَ الْمَعَاصِيَ كَانَ سَبَبًا فِي مُحَاقِ الْبَرَكَاتِ مِنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ.

وَلِهَذَا إِذَا نَزَلَ عَيْسَى عليه السلام فِي آخِرِ الزَّمَانِ، فَحَكَمَ بِهِدِهِ
الشَّرِيعَةَ الْمُطَهَّرَةَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ؛ مِنْ قَتْلِ الْخِنْزِيرِ، وَكُسْرِ
الصَّلَيبِ، وَوَضْعِ الْجِزْيَةِ - وَهُوَ تَرْكُهَا - فَلَا يُقْبَلُ إِلَّا الْإِسْلَامُ
أَوْ السَّيْفُ، فَإِذَا أَهْلَكَ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الدَّجَالَ وَأَتْبَاعَهُ، وَيَأْجُوجَ
وَمَأْجُوجَ، قِيلَ لِلْأَرْضِ: أَخْرِجِي بَرَكَاتِكَ، فَيَأْكُلُ مِنَ الرُّمَّانَةِ
الْفَيْئَامُ مِنَ النَّاسِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقَحْفِهَا، وَيَكْفِي لَبَنُ اللَّقْحَةِ
الْجَمَاعَةَ مِنَ النَّاسِ.

وَمَا ذَاكَ إِلَّا بِبَرَكَتِهِ تَنْفِيذِ شَرِيعَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَكَلَّمَا
أَقِيمَ الْعَدْلُ كَثُرَتِ الْبَرَكَاتُ وَالْخَيْرُ، وَلِهَذَا ثَبِتَ فِي حَدِيثٍ
صَحِيحٍ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ،
فَقَالَ: «مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا
الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ قَالَ: «الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ
نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ
الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ، وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ» ^{(١)(٢)}.

(١) رواه البخاري: ٦٥١٢.

(٢) «تفسير القرآن العظيم»، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن



٦١- لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ

عَنْ أَبِي ذَرِّ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَنْطُ؛ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ لِلَّهِ سَاجِدًا. وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعْدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ».

فَقَالَ أَبُو ذَرِّ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه: لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ ^(١).
أي: تمنى أبو ذَرِّ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه أنه كان شجرة تقطع أوصالها وتفنئ.

٢٦- سَبَبُ تَوْبَةِ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ

عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ سَبَبِ تَوْبَتِهِ، فَقَالَ: كُنْتُ

كثير القرشي الدمشقي، متوفى ٧٧٤هـ. بتصرف.

(١) «سنن الترمذي»: ٢٣١٢، و«سنن ابن ماجه»: ٤١٩٠، و«أحمد»: ٢١٥١٦، باختلاف يسير.

شُرْطِيًّا وَكُنْتُ مِنْهُمْ كَمَا عَلَى شُرْبِ الْخَمْرِ، ثُمَّ إِنِّي اشْتَرَيْتُ جَارِيَةً
نَفِيسَةً، وَوَقَعْتُ مِنِّي أَحْسَنَ مَوْقِعٍ، فَوَلَدَتْ لِي بِنْتًا فَشَغِفْتُ بِهَا،
فَلَمَّا دَبَّتْ عَلَى الْأَرْضِ ارْزَادَتْ حُبًّا فِي قَلْبِي، وَأَلْفَتْنِي وَأَلْفَتْهَا،
فَكُنْتُ إِذَا وَضَعْتُ الْمُسْكَرَ جَاءَتْ إِلَيَّ وَجَادَبْتَنِي إِيَّاهُ وَهَرَقَتْهُ
مِنْ ثَوْبِي، فَلَمَّا تَمَّ لَهَا سِتَتَانِ مَاتَتْ، فَأَكْمَدَنِي الْحُزْنَ عَلَيْهَا،
فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ النُّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، وَكَانَتْ لَيْلَةُ جُمُعَةٍ بَتُّ
ثِمْلًا مِنَ الْخَمْرِ، وَلَمْ أُصَلِّ صَلَاةَ الْعِشَاءِ، فَرَأَيْتُ كَأَنَّ أَهْلَ
الْقُبُورِ قَدْ خَرَجُوا، وَحُشِرَ الْخَلَائِقُ وَأَنَا مَعَهُمْ، فَسَمِعْتُ حِسًّا
مِنْ وَرَائِي، فَالْتَفَتْتُ فَإِذَا أَنَا بِتَيْنٍ ^(١) أَعْظَمُ مَا يَكُونُ أَسْوَدَ أَزْرَقٍ،
قَدْ فَتَحَ فَاهُ مُسْرِعًا نَحْوِي، فَمَرَرْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ هَارِبًا فِرْعَا مَرْعُوبًا،
فَمَرَرْتُ فِي طَرِيقِي، فَإِذَا أَنَا بِشَيْخٍ نَقِيٍّ الشَّيْبِ طَيِّبِ الرَّائِحَةِ،
فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ، فَقُلْتُ لَهُ: أَجْرَنِي وَأَغْنِنِي، فَقَالَ: أَنَا
ضَعِيفٌ وَهَذَا أَقْوَى مِنِّي، وَأَنَا مَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ مَرٌّ وَأَسْرِعُ،
فَلَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُسَبِّبَ لَكَ مَنْ يُنَجِّيكَ مِنْهُ، فَوَلَّيْتُ هَارِبًا
عَلَى وَجْهِهِ، فَصَعِدْتُ عَلَى شَرَفٍ مِنْ شُرُفِ الْقِيَامَةِ، فَأَشْرَفْتُ

(١) التنين: ضرب من الحيات العظيمة، وفي الأساطير حيوان أسطوري يجمع بين
صفات الزواحف والطيور، له مخالب أسد وجناحانسر وذنب أفعى.



عَلَى طَبَقَاتِ النَّيْرَانِ، فَظَرْتُ إِلَى أَهْوَالِهَا وَكِدْتُ أَهْوِي فِيهَا مِنْ فَرَعِي التَّيْنِ الَّذِي فِي طَلْبِي، فَصَاحَ بِي صَائِحٌ: ارْجِعْ فَلَسْتُ مِنْ أَهْلِهَا، فَاطْمَأْنَنْتُ إِلَى قَوْلِهِ، وَرَجَعْتُ وَرَجَعَ التَّيْنُ فِي طَلْبِي، فَصَاحَ بِي صَائِحٌ، فَأَتَيْتُ الشَّيْخَ فَقُلْتُ لَهُ: يَا شَيْخُ سَأَلْتُكَ أَنْ تُجِيرَنِي مِنْ هَذَا التَّيْنِ فَلَمْ تَفْعَلْ؟ فَبَكَى الشَّيْخُ وَقَالَ: أَنَا ضَعِيفٌ وَلَكِنْ سِرُّ إِلَى هَذَا الْجَبَلِ، فَإِنَّ فِيهِ لِلْمُسْلِمِينَ وَدَائِعَ، فَإِنْ كَانَ لَكَ فِيهِ وَدِيعَةٌ فَسَتَنْصُرُكَ فَظَرْتُ إِلَى جَبَلٍ مُسْتَدِيرٍ فِيهِ كَوَى مُخَرَّمَةٌ وَسُتُورٌ مُعَلَّقَةٌ عَلَى كُلِّ كُوَّةٍ مِصْرَاعَانِ مِنَ الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ مُرَصَّعَةٌ بِالْيَاقُوتِ مُكَلَّلَةٌ بِالذَّرِّ، وَعَلَى كُلِّ مِصْرَاعٍ سِتْرٌ حَرِيرٍ، فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى الْجَبَلِ هَرَبْتُ إِلَيْهِ وَالتَّيْنُ وَرَائِي، حَتَّى إِذَا قَرُبْتُ مِنْهُ صَاحَ بَعْضُ الْمَلَائِكَةِ: ارْفَعُوا السُّتُورَ وَافْتَحُوا الْمِصْرَاعَ وَأَشْرِفُوا، فَلَعَلَّ لِهَذَا الْبَائِسِ فِيكُمْ وَدِيعَةٌ تُجِيرُهُ مِنْ عَدُوِّهِ، فَإِذَا السُّتُورُ قَدْ رُفِعَتْ، وَالْمِصْرَاعُ قَدْ فُتِحَتْ، فَأَشْرَفَ عَلَيَّ أَطْفَالُ بُوْجُوهِ كَأَلْقَمَارٍ، وَقَرَّبَ التَّيْنُ مِنِّي، فَتَحِيرْتُ فِي أَمْرِي، فَصَاحَ بَعْضُ الْأَطْفَالِ:

وَيَحْكُمُ أَشْرِفُوا كُلُّكُمْ فَقَدْ قَرَّبَ مِنْهُ، فَأَشْرِفُوا فَوْجًا بَعْدَ

فَوَجَّ، فَإِذَا بِابْنَتِي الَّتِي مَاتَتْ قَدْ أَشْرَفَتْ عَلَيَّ مَعَهُمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُنِي بَكَتْ، وَقَالَتْ: أَبِي وَاللَّهِ، ثُمَّ وَثَبَتْ فِي كِفَّةٍ مِنْ نُورِ كَرَمِيَةِ السَّهْمِ حَتَّى مَثَلَتْ بَيْنَ يَدَيَّ، فَمَدَّتْ يَدَهَا الشِّمَالِ إِلَى يَدِي الْيُمْنَى فَتَعَلَّقَتْ بِهَا، وَمَدَّتْ يَدَهَا الْيُمْنَى إِلَى التَّيْنِ فَوَلَّى هَارِبًا ثُمَّ أَجْلَسْتَنِي وَقَعَدَتْ فِي حِجْرِي، وَضَرَبَتْ بِيَدِهَا الْيُمْنَى إِلَى لِحْيَتِي وَقَالَتْ يَا أَبِي: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

فَبَكَيْتُ وَقُلْتُ: يَا بِنْتِي وَأَنْتُمْ تَعْرِفُونَ الْقُرْآنَ؟ قَالَتْ: يَا أَبَتِ نَحْنُ أَعَرَفُ بِهِ مِنْكُمْ، قُلْتُ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ التَّيْنِ الَّذِي أَرَادَ هَلَاقِي، قَالَتْ: ذَلِكَ عَمَلُكَ السُّوءِ الْخَبِيثُ قَوَّيْتَهُ فَتَقَوَّى، فَأَرَادَ أَنْ يُغْرِقَكَ فِي النَّارِ، قُلْتُ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الشَّيْخِ الَّذِي مَرَرْتُ بِهِ فِي طَرِيقِي، قَالَتْ: يَا أَبَتِ ذَلِكَ عَمَلُكَ الصَّالِحِ أَضْعَفْتَهُ، فَضَعُفَ حَتَّى لَمْ يَكُنْ لَهُ طَاقَةٌ بِعَمَلِكَ السُّوءِ، قُلْتُ: يَا بِنْتِي وَمَا تَصْنَعُونَ فِي هَذَا الْجَبَلِ؟ قَالَتْ: نَحْنُ أَطْفَالُ الْمُسْلِمِينَ قَدْ



أُسْكِنَا فِيهِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، نَنْتَظِرُكُمْ تَقْدُمُونَ عَلَيْنَا فَتَشْفَعُ
فِيكُمْ، فَانْتَبَهْتُ فِرْعَا مَرْغُوبًا، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ فَارَقْتُ مَا كُنْتُ
عَلَيْهِ، وَثَبْتُ إِلَى اللَّهِ ﷻ^(١).

٦٣- «أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ»

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ
خَافَ أَذْلَجَ، وَمَنْ أَذْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزَلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ،
أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ»^(٢).

يقول النبي ﷺ: «مَنْ خَافَ أَذْلَجَ»، أي: مَنْ خَافَ أَلَا
يدرك إلى غايته في سفره سار أثناء الليل، ليكون ذلك أنشط
له في الوصول إلى غايته ومنزله، فيسرع ويتجنب مخاطر
قطاع الطرق «وَمَنْ أَذْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزَلَ»، أي: مَنْ سار في أول
الليل أو آخره بالجد وصبر وصل إلى غايته ونال مُبْتَغَاهُ،

(١) «روض الرياحين في حكايات الصالحين»: ص ١٧٣-١٧٤، لعفيف الدين أبي
السعادات عبد الله بن أسعد بن علي الياضي اليمني ثم المكي، متوفى ٧٦٨هـ.

(٢) «سنن الترمذي»: ٢٤٥٠.

وبلغ المنزل بإذن الله تعالى في أسرع وقت ممكن بعكس من تكاسل.

قال الطيبي: هَذَا مَثَلُ ضَرْبِهِ النَّبِيُّ ﷺ لِسَالِكِ الْآخِرَةِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ عَلَى طَرِيقِهِ وَالنَّفْسَ وَأَمَانِيَهُ الْكَاذِبَةَ أَعْوَانُهُ، فَإِنْ تَقَيَّظَ فِي مَسِيرِهِ وَأَخْلَصَ النِّيَّةَ فِي عَمَلِهِ أَمِنَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَكَيْدِهِ، وَمِنْ قَطْعِ الطَّرِيقِ بِأَعْوَانِهِ، ثُمَّ أُرْشِدَ إِلَى أَنَّ سُلُوكَ طَرِيقِ الْآخِرَةِ صَعْبٌ، وَتَحْصِيلَ الْآخِرَةِ مُتَعَسِّرٌ لَا يَحْصُلُ بِإِذْنِي سَعْيِي^(١).

٦٤- مَا يُفْسِدُ الْأَدْيَانَ

عن شداد بن أوس رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي إِلَّا الْأُئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ»^(٢).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَام رحمته الله: أَكْثَرُ مَا يُفْسِدُ الدُّنْيَا: نِصْفُ

(١) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»، للعلامة محمد بن عبد الله الخطيب

التبريزي، متوفى ٧٤١ هـ.

(٢) «صحيح ابن حبان»: ٤٥٧٠.

مُتَكَلِّم، وَنِصْفُ مَتَفَقِّهِ، وَنِصْفُ مُتَطَبِّبٍ، وَنِصْفُ نَحْوِيٍّ.
هَذَا يُفْسِدُ الْأَدْيَانَ، وَهَذَا يُفْسِدُ الْبُلْدَانَ، وَهَذَا يُفْسِدُ
الْأَبْدَانَ، وَهَذَا يُفْسِدُ اللِّسَانَ^(١).

٦٥- طُوبَالُ عُمَانَ بِاشَا (عُمَانُ بِاشَا الْأَعْرَجُ)

وُلِدَ فِي مَوْرَةِ جَنُوبِ الْيُونَانِ عَامَ (١٦٩٢م)، وَتَلَقَّى
تَعْلِيمَهُ وَتَرَعَّرَعَ فِي الْقُصُورِ فِي إِسْطَنْبُولَ، وَتَوَلَّى عِدَّةَ
مَنَاصِبَ رَسْمِيَّةٍ فِي الْبُوسْنَةِ وَالرُّومِ إِلَيَّ، وَأَصْبَحَ أَحَدَ الْقَادَةِ
الْبَارِزِينَ، وَارْتَقَى إِلَى رُتْبَةِ الصَّدْرِ الْأَعْظَمِ فِي عَامِ (١٧٣١م)
فِي عَهْدِ السُّلْطَانِ مَحْمُودِ الْأَوَّلِ، أَصَابَتْهُ جُرُوحٌ فِي رِجْلِهِ
عِنْدَمَا تَعَرَّضَتْ سَفِينَتُهُ إِلَى هُجُومٍ مِنْ قِبَلِ سَفِينَةٍ إِسْبَانِيَّةٍ
عِنْدَمَا كَانَ فِي مِهْمَةٍ إِلَى حَاكِمِ مِصْرَ فَبَقِيَ أَعْرَجَ طُولَ حَيَاتِهِ
لِذَا سُمِّيَ طُوبَالُ (الْأَعْرَجُ).

(١) «مجموع الفتاوى»: ١١٩/٥، لشيخ الاسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن
عبد الحلیم ابن تیمیة الحراني الدمشقي الحنبلي، متوفى ٧٢٨هـ.

وَفِي سَنَةِ (١٧٣٢م) حَاصَرَ نَادِرُ شَاهُ بَغْدَادَ مُحَاوِلًا
اِخْتِلَالَهَا، لَكِنَّ وَالِي بَغْدَادَ أَحْمَدُ شَاهُ صَمَدُ أَمَامَ الْمُحَاوَلَةِ
الْإِيرَانِيَّةِ الَّتِي دَامَتْ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ، فَكُلِّفَ طُوبَالُ عُثْمَانَ بَاشَا
مِنْ قِبَلِ الْبَابِ الْعَالِي فِي الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ، لِإِنْقَاذِ بَغْدَادَ مِنْ
حِصَارِ الْقُوَاتِ الْإِيرَانِيَّةِ، فَجَمَعَ تَحْتَ رَايَتِهِ مِائَةً وَسَبْعِينَ أَلْفًا
مِنَ الْجُنُودِ مُقَاتِلِينَ، فَسَلَكَ طَرِيقَ دِيَارِ بَكْرٍ، ثُمَّ الْمَوْصِلِ، ثُمَّ
كَرْكُوكَ وَصُولاَ إِلَى سَامَرَاءَ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، وَالتَقَى بِالْجَيْشِ
الْإِيرَانِيِّ وَجْهًا لَوَجْهِهِ فِي (٧ صَفَر - ١١٤٦ هـ / ١٨ تَمُوز
١٧٣٣م) فِي مَوْضِعٍ قُرْبَ سَامَرَاءَ، وَهَزِمَ الْإِيرَانِيُّونَ، وَمِنْ
شِدَّةِ الْمَعْرَكَةِ لَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ، فَسَعَى الْجَيْشُ الْعُثْمَانِيُّ
فِي أَثَرِهِمْ، وَجُرِحَ نَادِرُ شَاهُ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ وَهَرَبَ إِلَى
هَمْدَانَ، وَدَخَلَتِ الْجُيُوشُ الْعُثْمَانِيَّةُ إِلَى بَغْدَادَ وَتَخَلَّصَتْ
مِنَ الْاِخْتِلَالِ الْإِيرَانِيِّ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى كَرْكُوكَ.

رَتَّبَ نَادِرُ شَاهُ جَيْشًا بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ مِنْ هَزِيمَتِهِ أَمَامَ
طُوبَالِ عُثْمَانَ بَاشَا، جَيْشًا قَوِيًّا تَفَوَّقَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ فِي
السَّابِقِ وَجَهَّزَهُ بِأَحَدِثِ الْأَسْلِحَةِ، وَعَلِمَ مِنْ جَوَاسِيسِهِ أَنَّ



طُوبَالَ عُمَانَ بَاشَا رَجَعَ إِلَى كَرْكُوكَ مَعَ بَعْضِ قَوَاتِهِ وَتَرَكَ قِسْمًا كَبِيرًا مِنْ جَيْشِهِ فِي حِمَايَةِ بَغْدَادَ، فَاسْتَعْلَلَ نَادِرُ شَاهُ فُرْصَةَ قِلَّتِهِمْ فِي كَرْكُوكَ، فَهَاجَمَهُمْ فِي مَنطَقَةِ لَيْلَانَ قُرْبَ كَرْكُوكَ فِي مَعْرَكَةٍ غَيْرِ مُتَكَافِئَةٍ فَسَقَطَ طُوبَالَ عُمَانَ صَرِيعًا، وَلَمْ يَتْرِكِ السَّيْفَ مِنْ يَدِهِ حَتَّى وَقَعَ شَهِيدًا فِي (٢٢ رَجَبِ ١١٤٦هـ/ ٢ تَشْرِينَ الْأَوَّلِ ١٧٣٣م)، وَدُفِنَ فِي كَرْكُوكَ فِي مَقْبَرَةٍ خَاصَّةٍ بِقُرْبِ مَنْ جَامِعِ إِمَامِ قَاسِمٍ.

٦٦- فَتَحَتْ لَهُ الْمَغَالِيقُ

قَالَ ابْنُ قِيَمٍ الْجَوْزِيَّةَ رحمته الله: مَنْ أَدَامَ الْحَمْدَ؛ تَبَاعَتْ عَلَيْهِ الْخَيْرَاتُ، وَمَنْ أَدَامَ الْأَسْتِغْفَارَ؛ فَتَحَتْ لَهُ الْمَغَالِيقُ ^(١).

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنَعَكُمْ مَنَّاعًا

(١) «الداء والدواء»: ص ١٨٨، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن

قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.

حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ. ﴿هود: ٣﴾.

٦٧- «مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى»

عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا، يَعْمَلُونَ لَهُ عَمَلًا يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ عَلَى أَجْرٍ مَعْلُومٍ فَعَمِلُوا لَهُ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ، فَقَالُوا: لَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى أَجْرِكَ الَّذِي شَرَطْتَ لَنَا، وَمَا عَمِلْنَا بَاطِلًا، فَقَالَ لَهُمْ: لَا تَفْعَلُوا، أَكْمَلُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمْ، وَخُذُوا أَجْرَكُمْ كَامِلًا، فَأَبَوْا وَتَرَكُوا، وَاسْتَأْجَرَ أُجَيْرَيْنِ بَعْدَهُمْ، فَقَالَ لَهُمَا: أَكْمِلَا بَقِيَّةَ يَوْمِكُمَا هَذَا وَلَكُمَا الَّذِي شَرَطْتُ لَهُمْ مِنْ الْأَجْرِ، فَعَمِلُوا، حَتَّى إِذَا كَانَ حِينَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، قَالَا: لَكَ مَا عَمِلْنَا بَاطِلًا، وَلَكَ الْأَجْرُ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا فِيهِ، فَقَالَ لَهُمَا: أَكْمِلَا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمَا، مَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ شَيْءٌ يَسِيرٌ، فَأَبَيَا، وَاسْتَأْجَرَ قَوْمًا أَنْ يَعْمَلُوا لَهُ بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ، فَعَمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ، وَاسْتَكْمَلُوا أَجْرَ الْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا، فَذَلِكَ مَثَلُهُمْ وَمَثَلُ

ما قَبِلُوا مِنْ هَذَا النُّورِ»^(١).

ضرب النَّبِيُّ ﷺ هذا المثلَ للمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى للتوضيح، فكانَ مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ وَمَثَلُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي قَبُولِ الْإِسْلَامِ وَالنَّبُوَّةِ، فَكَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا آمَنُوا وَعَمِلُوا بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ وَاسْتَقَامُوا عَلَى الْإِسْلَامِ وَالِدِّينِ وَاسْتَمَرُّوا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ؛ فَكَانَ مِثْلُهُمْ مِثْلَ مَنْ عَمِلَ الدَّهْرَ كُلَّهُ؛ لِأَنَّهُمْ أَتَمُّوا الدَّهْرَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَإِطَاعَةِ رَسُولِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، كِاتِمَامِ النَّهَارِ الَّذِي كَانَ اسْتَوْجَرَ عَلَيْهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى.

٦٨ - وَهَبَ اللَّهُ لِي الْعَافِيَةَ

حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الدُّورِيُّ، حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي حَرَارَةَ - جَارٌ لَنَا - قَالَ: كَانَتْ أُمِّي مُقَعَّدَةً نَحْوَ عِشْرِينَ سَنَةً، فَقَالَتْ لِي يَوْمًا: اذْهَبْ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فَاسْأَلْهُ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ لِي، فَسِرْتُ إِلَيْهِ فَدَقَقْتُ عَلَيْهِ الْبَابَ وَهُوَ فِي دِهْلِيزِهِ، فَلَمْ يَفْتَحْ لِي، وَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَقُلْتُ: أَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ ذَاكَ الْجَانِبِ سَأَلْتَنِي أُمِّي وَهِيَ

(١) «صحيح البخاري»: ٢٢٧١.

زَمَنَةٌ - أَي: مَرَضٌ دَائِمٌ - مُقَعَّدَةٌ أَنْ أَسْأَلَكَ أَنْ تَدْعُو اللَّهَ لَهَا.
 فَسَمِعْتُ كَلَامَهُ كَلَامَ رَجُلٍ مُغْضَبٍ، فَقَالَ: نَحْنُ أَخَوُجُ
 إِلَى أَنْ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا، فَوَلَّيْتُ مُنْصَرِفًا، فَخَرَجَتْ امْرَأَةٌ عَجُوزٌ مِنْ
 دَارِهِ، فَقَالَتْ: أَنْتَ الَّذِي كَلَّمْتَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَتْ:
 قَدْ تَرَكْتُهُ يَدْعُو اللَّهَ لَهَا. قَالَ: فَجِئْتُ مِنْ فَوْرِي إِلَى الْبَيْتِ فَدَقَقْتُ
 الْبَابَ؛ فَخَرَجَتْ أُمِّي عَلَى رَجُلَيْهَا تَمْشِي حَتَّى فَتَحَتِ الْبَابَ
 فَقَالَتْ: قَدْ وَهَبَ اللَّهُ لِي الْعَافِيَةَ ^(١).

٦٩- فَعَلَبَ عَلَى كُلِّ طَبِيعٍ أَهْلَهُ

قال الأَبَشِيهِي: حَكَى بَعْضُهُمْ، قَالَ: كُنْتُ فِي سَفَرٍ
 فَضَلَلْتُ عَنِ الطَّرِيقِ فَرَأَيْتُ بَيْتًا فِي الْفَلَاةِ - الصَّحْرَاءِ - فَأَتَيْتُهُ،
 فَإِذَا بِهِ أَعْرَابِيَّةٌ فَلَمَّا رَأَتْنِي، قَالَتْ: مَنْ تَكُونُ؟! قُلْتُ: ضَيْفٌ.
 قَالَتْ: أَهْلًا وَمَرْحَبًا بِالضَّيْفِ، أَنْزِلْ عَلَى الرَّحْبِ وَالسَّعَةِ.
 قَالَ: فَنَزَلْتُ، فَقَدَّمْتُ لِي طَعَامًا فَأَكَلْتُ، وَمَاءً فَشَرِبْتُ،

(١) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»: ١٤٤ / ٩، للحافظ أبي نعيم الأصبهاني،
 متوفى ٤٣٠ هـ.

فَبَيْنَمَا أَنَا عَلَى ذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ صَاحِبُ الْبَيْتِ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟!
 فَقَالَتْ: ضَيْفٌ. فَقَالَ: لَا أَهْلًا وَلَا مَرْحَبًا مَا لَنَا وَلِلضَّيْفِ!
 فَلَمَّا سَمِعْتُ كَلَامَهُ رَكِبْتُ مِنْ سَاعَتِي وَسِرْتُ.
 فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ رَأَيْتُ بَيْتًا فِي الْفَلَاةِ فَقَصَدْتُهُ، فَإِذَا فِيهِ
 أَعْرَابِيَّةٌ فَلَمَّا رَأَتْنِي قَالَتْ: مَنْ تَكُونُ؟ قُلْتُ: ضَيْفٌ.
 قَالَتْ: لَا أَهْلًا وَلَا مَرْحَبًا بِالضَّيْفِ، مَا لَنَا وَلِلضَّيْفِ!
 فَبَيْنَمَا هِيَ تُكَلِّمُنِي إِذْ أَقْبَلَ صَاحِبُ الْبَيْتِ فَلَمَّا رَأَنِي،
 قَالَ: مَنْ هَذَا؟! قَالَتْ: ضَيْفٌ.
 قَالَ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا بِالضَّيْفِ، ثُمَّ أَتَى بِطَعَامٍ حَسَنٍ فَأَكَلْتُ،
 وَمَاءً فَشَرِبْتُ، فَتَذَكَّرْتُ مَا مَرَّ بِي بِالْأَمْسِ فَتَبَسَّمْتُ!
 فَقَالَ: مِمَّ تَبَسُّمُكَ؟ فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ مَا انْتَقَى لِي مَعَ تِلْكَ
 الْأَعْرَابِيَّةِ وَبَعْلِهَا، وَمَا سَمِعْتُ مِنْهُ وَمِنْ زَوْجَتِهِ.
 فَقَالَ: لَا تَعْجَبْ، إِنَّ تِلْكَ الْأَعْرَابِيَّةَ الَّتِي رَأَيْتَهَا هِيَ أُخْتِي،
 وَإِنْ بَعْلُهَا أَخُو امْرَأَتِي هَذِهِ؛ فَغَلَبَ عَلَيَّ كُلُّ طَبْعِ أَهْلِهِ^(١).

(١) «المُسْتَظَرَفُ فِي كُلِّ فَنٍّ مُسْتَظَرَفٌ»: ص ٣٣٧ - ٣٣٨، للإمام العالم شهاب الدين محمد الأبهسي، متوفى ٨٥٢هـ.

قال الخطيب: حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ

ابن عيسى قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ كَثِيرَ الْاِخْتِلَافِ - السَّفَرِ - إِلَى طَرُسُوسَ، وَكَانَ يَنْزِلُ الرِّقَّةَ فِي خَانٍ، فَكَانَ شَابٌّ يَخْتَلِفُ إِلَيْهِ، وَيَقُومُ بِحَوَائِجِهِ، وَيَسْمَعُ مِنْهُ الْحَدِيثَ.

قَالَ: فَقَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ الرِّقَّةَ مَرَّةً فَلَمْ يَرَ ذَلِكَ الشَّابَّ، وَكَانَ مُسْتَعْجِلًا فَخَرَجَ فِي النَّفِيرِ - أَيِ: الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - فَلَمَّا قَفَلَ مِنْ غَزْوَتِهِ وَرَجَعَ إِلَى الرِّقَّةِ سَأَلَ عَنِ الشَّابِّ، قَالَ: فَقَالُوا: إِنَّهُ مَحْبُوسٌ لِدَيْنٍ رَكِبَهُ!

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَكَمْ مَبْلَغُ دَيْنِهِ؟ فَقَالُوا: عَشْرَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ، فَلَمْ يَزَلْ يَسْتَفْصِي حَتَّى دُلَّ عَلَى صَاحِبِ الْمَالِ - صَاحِبِ الدَّيْنِ - فَدَعَا بِهِ لَيْلًا وَوَزَنَ لَهُ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ، وَحَلَفَهُ أَنْ لَا يُخْبِرَ أَحَدًا مَا دَامَ عَبْدُ اللَّهِ حَيًّا. وَقَالَ: إِذَا أَصْبَحْتَ فَأَخْرِجِ الرَّجُلَ مِنَ الْحَبْسِ، وَأَذْلَجِ (سار ليلاً) عَبْدُ اللَّهِ. فَأَخْرِجَ الْفَتَى مِنَ الْحَبْسِ وَقِيلَ لَهُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ كَانَ هَاهُنَا وَكَانَ

يَذْكُرْكَ، وَقَدْ خَرَجَ؛ فَخَرَجَ الْفَتَى فِي أَثَرِهِ فَلَحِقَهُ عَلَى مَرَحَلَتَيْنِ
- أَوْ ثَلَاثٍ - مِنَ الرَّقَّةِ.

فَقَالَ: يَا فَتَى! أَيْنَ كُنْتَ، لَمْ أَرَكَ فِي الْخَانِ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا
أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ! كُنْتُ مَحْبُوسًا بِدَيْنٍ، قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ سَبَبُ
خَلَاصِكَ؟

قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ فَقَضَى دَيْنِي وَلَمْ أَعْلَمْ بِهِ حَتَّى
أُخْرِجْتُ مِنَ الْحَبْسِ. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: يَا فَتَى! أَحْمَدُ اللَّهِ
عَلَى مَا وَفَّقَ لَكَ مِنْ قَضَاءِ دَيْنِكَ.
فَلَمْ يُخَيِّرْ ذَلِكَ الرَّجُلُ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ مَوْتِ عَبْدِ اللَّهِ ^(١).

٧١- «وَمَا كُنَّا نَقُولُ إِلَّا: الْمَدِيَّةُ»

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «كَانَتْ
امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذُّبُّ فَذَهَبَ بِأَبْنِ إِحْدَاهُمَا،
فَقَالَتْ صَاحِبَتُهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكَ. وَقَالَتِ الْأُخْرَى:

(١) «تاريخ بغداد أو مدينة السلام»: ١٠ / ١٥٨، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن
علي الخطيب البغدادي، متوفى ٤٦٣ هـ.

إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكَ؛ فَتَحَاكَمْتَا إِلَى دَاوُدَ، فَقَضَىٰ بِهِ لِلْكَبْرَىٰ،
فَخَرَجَتَا عَلَىٰ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ، فَأَخْبَرَتَاهُ، فَقَالَ: ائْتُونِي
بِالسَّكِينِ أَشَقُّهُ بَيْنَهُمَا، فَقَالَتِ الصُّغْرَىٰ: لَا تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ
اللَّهُ، هُوَ ابْنُهَا، فَقَضَىٰ بِهِ لِلصُّغْرَىٰ».

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: وَاللَّهِ إِنْ سَمِعْتُ بِالسَّكِينِ إِلَّا يَوْمَئِذٍ،
وَمَا كُنَّا نَقُولُ إِلَّا: الْمُدْيَةُ ^(١).

٧٢- فِي آخِرِ الزَّمَانِ

قَالَ الْإِمَامُ الْأَوْزَاعِيُّ رضي الله عنه: لَا يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ شَيْءٌ
أَعَزُّ مِنْ أَخٍ مُؤَنَسٍ، أَوْ كَسَبَ دِرْهَمٍ مِنْ حِلِّهِ، أَوْ سُنَّةٍ يُعْمَلُ
بِهَا ^(٢).



(١) «صحيح البخاري»: ٣٤٢٦.

(٢) «تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز
بنواحيها من واردتها وأهلها»: ٢٠٢/٣٥، أبو القاسم علي بن الحسن بن
هبة الله بن عساكر الدمشقي، متوفى ٥٧١ هـ.



٧٣- يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ

دَخَلَ ابْنُ السَّمَاءِ يَوْمًا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ الرَّشِيدِ فَوَافَقَ أَنْ وَجَدَهُ يَرْفَعُ الْمَاءَ إِلَى فَمِهِ لِيَشْرَبَ.

فَقَالَ: مَهْلًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! فَلَمَّا وَضَعَ الْمَاءَ، قَالَ لَهُ: أَسْتَحْلِفُكَ بِاللَّهِ تَعَالَى، لَوْ أَنَّكَ مُنِعْتَ هَذِهِ الشَّرْبَةَ مِنَ الْمَاءِ؛ فَبِكُمْ كُنْتَ تَشْتَرِيهَا؟ قَالَ: بِنِصْفِ مُلْكِي.

قَالَ: اشْرَبْ هَنَّاكَ اللَّهُ، فَلَمَّا شَرِبَ، قَالَ: أَسْتَحْلِفُكَ بِاللَّهِ تَعَالَى لَوْ أَنَّكَ مُنِعْتَ خُرُوجَهَا مِنْ جَوْفِكَ بَعْدَ هَذَا، فَبِكُمْ كُنْتَ تَشْتَرِيهَا؟ قَالَ: بِمُلْكِي كُلِّهِ.

فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنَّ مُلْكًا تَرَبُّو عَلَيْهِ شَرْبُهُ مَاءٍ، وَتَفْضُلُهُ بَوْلُهُ وَاحِدَةٌ، لَخَلِيقُ آلَا يُنَافَسُ فِيهِ، فَبَكَى هَارُونُ الرَّشِيدُ، حَتَّى ابْتَلَّتْ لِحْيَتُهُ.

فَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ أَحَدُ وَزَرَائِهِ: مَهْلًا يَا بَنَ السَّمَاءِ! فَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَحَقُّ مِنْ رَجَاءِ الْعَاقِبَةِ عِنْدَ اللَّهِ بَعْدَ لِه فِي مُلْكِهِ.

فَقَالَ ابْنُ السَّمَّالِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنَّ هَذَا لَيْسَ مَعَكَ
 فِي قَبْرِكَ غَدًا، فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ، فَأَنْتَ بِهَا أَخْبَرُ، وَعَلَيْهَا أَبْصَرُ،
 وَأَمَّا أَنْتَ يَا فَضْلُ! فَمِنْ حَقِّ الْأَمِيرِ عَلَيْكَ، أَنْ تَكُونَ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ مِنْ حَسَنَاتِهِ لَا مِنْ سَيِّئَاتِهِ، فَذَلِكَ أَكْفَأُ مَا تُؤَدِّي بِهِ حَقَّهُ
 عَلَيْكَ، لَا شَيْءٌ أَجَلٌ مِنَ الْعَافِيَةِ، وَلَا يَدُومُ مُلْكٌ إِلَّا بِالْعَدْلِ،
 وَلَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِلَّا مَا قَدَّمَتْ، ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى
 شَيْئًا﴾، وَيَوْمَ ﴿لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْدِرَتُهُمْ﴾^(١).

٧٤- فَعَلِمَ بِذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ ذَنْبِهِ

قال الخطيب: اسْتَعَارَ رَجُلٌ مِنْ أَبِي حَامِدٍ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي
 طَاهِرٍ الْإِسْفَرَائِينِيَّ الْفَقِيهَ كِتَابًا، فَرَأَاهُ أَبُو حَامِدٍ يَوْمًا وَقَدْ أَخَذَ
 عَلَيْهِ عَنَابًا، ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ سَأَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُعِيرَهُ كِتَابًا!
 فَقَالَ: تَأْتِينِي إِلَى الْمَنْزِلِ، فَأَتَاهُ فَأَخْرَجَ الْكِتَابَ إِلَيْهِ فِي
 طَبَقٍ وَنَاوَلَهُ إِيَّاهُ؛ فَاسْتَنْكَرَ الرَّجُلُ ذَلِكَ، وَقَالَ: مَا هَذَا؟!

(١) «عيون الحكايات»: ص ٣٥٠، للإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي
 ابن محمد بن علي القرشي البغدادي المعروف بابن الجوزي، متوفى ٥٩٧ هـ.

فَقَالَ لَهُ أَبُو حَامِدٍ: هَذَا الْكِتَابُ الَّذِي طَلَبْتَهُ، وَهَذَا طَبَقُ
تَضَعُ عَلَيْهِ مَا تَأْكُلُهُ؛ فَعَلِمَ بِذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ ذَنْبِهِ ^(١).

٧٥- مَاتَتْ قُلُوبُكُمْ فِي عَشْرَةِ أَشْيَاءَ

مَرَّ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ فِي سُوقِ الْبَصْرَةِ؛ فَاجْتَمَعَ النَّاسُ
إِلَيْهِ، فَقَالُوا: يَا أَبَا إِسْحَاقَ! إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ:
﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وَنَحْنُ نَدْعُوهُ مُنْذُ دَهْرٍ؛ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَنَا!
فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: مَاتَتْ قُلُوبُكُمْ فِي عَشْرَةِ أَشْيَاءَ:
أَوَّلُهَا: عَرَفْتُمُ اللَّهَ وَلَمْ تُؤَدُّوا حَقَّهُ.
وَالثَّانِي: قَرَأْتُمُ الْقُرْآنَ وَلَمْ تَعْمَلُوا بِهِ.
وَالثَّالِثُ: ادَّعَيْتُمْ حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَرَكْتُمْ سُنَّتَهُ.
وَالرَّابِعُ: ادَّعَيْتُمْ عَدَاوَةَ الشَّيْطَانِ وَوَافَقْتُمُوهُ.

(١) «تقييد العلم»: ص ١٤٩، للحافظ المؤرخ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت
الخطيب البغدادي، متوفى ٤٦٣ هـ.

وَالْخَامِسُ: قُلْتُمْ: إِنَّكُمْ تُحِبُّونَ الْجَنَّةَ، وَلَمْ تَعْمَلُوا لَهَا.
 وَالسَّادِسُ: قُلْتُمْ: نَخَافُ النَّارَ، وَذَهَبَتْ أَنْفُسُكُمْ بِهَا.
 وَالسَّابِعُ: قُلْتُمْ: إِنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ، وَلَمْ تَسْتَعِدُّوا.
 وَالثَّامِنُ: اسْتَعَلْتُمْ بِعُيُوبِ إِخْوَانِكُمْ وَنَسِيتُمْ عُيُوبَكُمْ.
 وَالتَّاسِعُ: أَكَلْتُمْ نِعْمَةَ اللَّهِ وَلَمْ تَشْكُرُواهَا.
 وَالْعَاشِرُ: دَفَنْتُمْ مَوْتَاكُمْ وَلَمْ تَعْتَبِرُوا بِهِمْ ^(١).

٧٦- وَتَابَ الرَّجُلُ وَلَمْ يَعُدْ إِلَى مَا كَانَ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَجَاءِ الْغَدَانِيِّ، قَالَ: كَانَ لِأَبِي حَنِيفَةَ جَارٌ
 بِالْكُوفَةِ إِسْكَافٌ، يَعْمَلُ نَهَارَهُ أَجْمَعَ، حَتَّى إِذَا جَنَّهُ اللَّيْلُ رَجَعَ
 إِلَى مَنْزِلِهِ، وَقَدْ حَمَلَ لَحْمًا فَطَبَخَهُ، أَوْ سَمَكَةً فَشَوَاهَا، ثُمَّ
 لَا يَزَالُ يَشْرَبُ حَتَّى إِذَا دَبَّ الشَّرَابُ فِيهِ غَزَلَ بِصَوْتٍ، وَهُوَ
 يَقُولُ:

(١) «وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ وَأَنْبَاءُ أُنْبَاءِ الزَّمَانِ»: ١/ ٣٩٥، لأبي عباس أحمد بن

خلكان، متوفى ٦٨١هـ.

أَصَاعُونِي وَأَيَّ فِتْيَ أَصَاعُوا لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسِدَادٍ تُغَرِّ

فَلَا يَزَالُ يَشْرَبُ وَيُرَدِّدُ هَذَا الْبَيْتَ حَتَّى يَأْخُذَهُ النَّوْمُ.

وَكَانَ أَبُو حَنِيفَةَ يَسْمَعُ جَلْبَتَهُ كُلَّ يَوْمٍ - وَأَبُو حَنِيفَةَ كَانَ

يُصَلِّي اللَّيْلَ كُلَّهُ - فَقَدْ أَبُو حَنِيفَةَ صَوْتَهُ! فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقِيلَ:

أَخَذَهُ الْعَسَسُ - رَجُلَ الشَّرِيطَةِ - مُنْذُ لَيْالٍ وَهُوَ مَحْبُوسٌ.

فَصَلَّى أَبُو حَنِيفَةَ صَلَاةَ الْفَجْرِ مِنْ غَدٍ، وَرَكِبَ بَغْلَةً،

وَاسْتَأْذَنَ عَلَى الْأَمِيرِ، قَالَ الْأَمِيرُ: ائْذِنُوا لَهُ، وَأَقْبِلُوا بِهِ رَاكِبًا،

وَلَا تَدْعُوهُ يَنْزِلُ حَتَّى يَطَّأَ الْبَسَاطَ، فَفَعَلَ، فَلَمْ يَزَلِ الْأَمِيرُ

يَوْسَعُ لَهُ مِنْ مَجْلِسِهِ، وَقَالَ: مَا حَاجَتُكَ؟

قَالَ: لِي جَارٌ إِسْكَافٌ أَخَذَهُ الْعَسَسُ مُنْذُ لَيْالٍ، يَا أَمْرُ

الْأَمِيرُ بِتَخْلِيَّتِهِ. فَقَالَ: نَعَمْ، وَكُلُّ مَنْ أَخَذَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ إِلَى

يَوْمِنَا هَذَا؛ فَأَمَرَ بِتَخْلِيَّتِهِمْ أَجْمَعِينَ.

فَرَكِبَ أَبُو حَنِيفَةَ وَالْإِسْكَافُ يَمْشِي وَرَاءَهُ.

فَلَمَّا نَزَلَ أَبُو حَنِيفَةَ مَضَى إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا فِتْيَ أَضَعْنَاكَ؟

فَقَالَ: لَا؛ بَلْ حَفِظْتَ وَرَعَيْتَ، جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا عَنِّ

حُرْمَةِ الْجَوَارِ، وَرِعَايَةِ الْحَقِّ. وَتَابَ الرَّجُلُ، وَلَمْ يَعُدْ إِلَى مَا كَانَ^(١).

٧٧- عَظَنِي بِمَا رَأَيْتُ

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رحمته الله: وَبَلَّغَنِي أَنَّ الْمَنْصُورَ قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رحمته الله: عَظَنِي، قَالَ: بِمَا رَأَيْتُ أَوْ بِمَا سَمِعْتُ؟ قَالَ: بِمَا رَأَيْتُ!

قَالَ: مَاتَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رحمته الله وَخَلَفَ أَحَدَ عَشَرَ ابْنًا، وَبَلَغَتْ تَرْكَتُهُ سَبْعَةَ عَشَرَ دِينَارًا، كَفُنَ مِنْهَا بِخَمْسَةِ دَنَانِيرٍ، وَاشْتُرِيَ لَهُ مَوْضِعُ قَبْرِهِ بِدِينَارَيْنِ - وَفُسِّمَ الْبَاقِي عَلَى بَنِيهِ - وَأَصَابَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ وَلَدِهِ تِسْعَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا.

مَاتَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَخَلَفَ أَحَدَ عَشَرَ ابْنًا فُقِّسِمَتْ تَرْكَتُهُ وَأَصَابَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ تَرْكَتِهِ أَلْفَ أَلْفٍ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ وَلَدِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَدْ حَمَلَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ عَلَى مِئَةِ فَرَسٍ

(١) «جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس»: ص ٢١، للإمام محمد بن فتوح بن

عبد الله الأزدي الحميدي الأندلسي، متوفى ٤٨٨ هـ.

فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ وَلَدِ هِشَامٍ يُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ ^(١).

٧٨- فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ أَخَذَهُ كُلَّهُ

رَوَى أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ أَنَّهُ قَالَ: دَخَلَ أَعْرَابِي عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ: عِظْنِي يَا أَعْرَابِي!

فَقَالَ: كَفَى بِالْقُرْآنِ وَاعِظًا؛ أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين: ١-٦].

ثُمَّ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! هَذَا جَزَاءُ مَنْ يُطْفِفُ فِي الْكِيلِ وَالْمِيزَانِ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ أَخَذَهُ كُلُّهُ؟ ^(٢).

(١) «سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد»: ص ٣٣٨، للإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي القرشي البغدادي المعروف بابن الجوزي، متوفى ٥٩٧هـ.

(٢) «العقد الفريد»: ٤/ ٢٤، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم الأندلسي، متوفى ٣٢٨هـ.

٧٩- حَذَرُ مِنَ الْأَزْوَاجِ وَالْأَوْلَادِ

قال الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التَّغَابُنُ: ١٤-١٥].

قال: ابن أبي الدنيا: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْعَسْقَلَانِيُّ، حَدَّثَنَا ضَمْرَةُ، حَدَّثَنَا ابْنُ شَوْذَبٍ، عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا نَسْمَعُ أَنَّ أَقْوَامًا سَحَبُوهُمْ عِيَالًا تَهُمُّ عَلَى الْمَهَالِكِ ^(١).

حَذَرْنَا اللَّهُ ﷻ مِنَ الْإِفْرَاطِ فِي مَحَبَّةِ الْأَزْوَاجِ وَالْأَوْلَادِ وَمَوَدَّتِهِمْ، كِي لَا يَأْخُذُونَا إِلَى الْحَرَامِ.



(١) «العيال»: ٢/ ٦٢٢، لأبي بكر عبد الله القرشي المعروف بـ(ابن أبي الدنيا)،

متوفى ٢٨١هـ.

٨٠- اخْذَرْ لَا يَرُونَكَ

قَالَ مُقَاتِلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَكِّيُّ: حَضَرْتُ مَعَ أَبِي وَأَخِي
عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ الْحَرْبِيِّ.

فَقَالَ لِأَبِي: هُوَ لَاءٍ أَوْ لَا ذُكَّ؟

قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: اخْذَرْ، لَا يَرُونَكَ حَيْثُ نَهَاكَ اللَّهُ؛
فَتَسْقُطَ مِنْ أَعْيُنِهِمْ ^(١).

٨١- سِيَمَاءُ حَسَنَةً

سَأَلَ رَجُلٌ ابْنَ سِيرِينَ، فَقَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنِّي
أُؤَذَّنُ. قَالَ: تَحُجُّ.

وَسَأَلَهُ آخَرُ؛ فَأَوَّلَ بَقَطْعَ يَدِهِ فِي السَّرِقَةِ!

فَقِيلَ لَهُ فِي التَّأْوِيلَيْنِ؟! فَقَالَ: رَأَيْتُ الْأَوَّلَ عَلَى سِيَمَاءِ

حَسَنَةٍ؛ فَأَوَّلْتُ قَوْلَهُ **عَلَى**: ﴿وَأُذِّنُ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ [الحج: ٢٧].

(١) «تاريخ بغداد أو مدينة السلام»: ٦ / ٣٥، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي
الخطيب البغدادي، متوفى ٤٦٣ هـ.

وَلَمْ أَرْضَ هَيْئَةَ الثَّانِي، فَأَوَّلْتُ قَوْلَهُ ﷺ: ﴿ثُمَّ أَذِّنْ مُؤَذِّنٌ
أَتَتْهَا الْغَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠] ^(١).

٨٢- لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

قال الطبري: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ عِنْدَ رَبِّكُمْ، أَشَدُّكُمْ اتِّقَاءً
لَهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ واجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، لَا أَعْظَمَكُمْ بَيْتًا وَلَا أَكْثَرَكُمْ
عَشِيرَةً ^(٢).

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: وَوَاللَّهِ لَئِنْ جَاءَتِ الْأَعَاجِمُ
بِعَمَلٍ وَجِئْنَا بِغَيْرِ عَمَلٍ، لَهُمْ أَوْلَى بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَّا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ؛ فَإِنَّ مَنْ قَصَرَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ ^(٣).

(١) «شرح السنة»: ٢٢٤/١٢، للإمام المحدث الفقيه أبي محمد الحسين بن
مسعود الفراء البغوي، متوفى ٥١٦هـ.

(٢) تفسير الطبري «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»: ٣٩٨/١١، سورة
الحجرات، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، متوفى ٣١٠هـ.

(٣) «الأحكام السلطانية»: ص ٢٣٧، لأبي يعلى الحنبلي، متوفى ٧٩٥هـ.

٨٣- نَشَاطٌ فِي الْعِبَادَةِ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:
«أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ يَعْنِي الْمَوْتَ»^(١).
كَانَ حَامِدُ اللَّفَافِ يَقُولُ: مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ الْمَوْتِ؛ أُكْرِمَ
بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ:
تَعْجِيلِ التَّوْبَةِ، وَقَنَاعَةِ النَّفْسِ، وَالنَّشَاطِ فِي الْعِبَادَةِ^(٢).

٨٤- وَأَنْ دِينُنَا قَدْ طَابَ

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ قَعْنَبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ
سَلَمَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:
«رَأَيْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ، كَأَنَّا فِي دَارِ عُقْبَةَ بْنِ رَافِعٍ،

(١) «أخرجه الترمذي»: ٢٣٠٧، و«النسائي»: ١٨٢٤، مع اختلاف يسير عنده، وابن ماجه ٤٢٥٨.

(٢) «تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر»: ص ٥٦، للإمام القطب أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشافعي الشعراني، متوفى ٩٧٣هـ.

فَأَتَيْنَا بُرْطَبَ مِنْ رُطَبِ ابْنِ طَابٍ؛ فَأَوَّلْتُ الرِّفْعَةَ لَنَا فِي الدُّنْيَا،
وَالْعَافِيَةَ فِي الْآخِرَةِ، وَأَنَّ دِينَنَا قَدْ طَابَ»^(١).

أَيُّ: كَمَلْ وَاسْتَقَرَّتْ أَحْكَامُهُ وَتَمَهَّدَتْ قَوَاعِدُهُ.

٨٥ - مَلَلُ الْقُلُوبِ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ
الْإِيمَانَ لَيَخْلُقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلُقُ الثَّوْبُ، فَاسْأَلُوا
اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ»^(٢).

كُلُّ مُسْلِمٍ يُصَابُ بِالْفُتُورِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَقَدْ يَرْتَكِبُ
الْمَعَاصِيَ وَيَنْغَمِسُ فِي الشَّهَوَاتِ، وَيَبْلَى وَيَضْعُفُ إِيْمَانُهُ بَيْنَ
الْحَيْنِ وَالْآخِرِ، مِثْلُ الثَّوْبِ الْجَدِيدِ يَبْلَى بَعْدَ طُولِ اسْتِخْدَامِهِ،
وَيُضْلِحُ الْمُسْلِمُ الْقِيَامَ بِالْفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ
وَيَزْدَادُ إِيْمَانُهُ بِالطَّاعَاتِ وَالْعِبَادَاتِ وَالذِّكْرِ وَالصَّدَقَاتِ
وَالِاسْتِغْفَارِ وَسُؤَالِ اللَّهِ الثَّبَاتَ وَالِاسْتِقَامَةَ.

(١) «صحيح مسلم»: ٢٢٧٠.

(٢) أخرجه الطبراني: ١٤/٧٠، ١٤٦٦٨، والحاكم: ٥.

كما في الأثر الذي ذكره ابن أبي شيبَةَ عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قال: «اجلس بنا نُؤمِّنُ ساعةً»، يعني: نذكر الله.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: رَوَّحُوا الْقُلُوبَ وَاطْلُبُوا لَهَا طَرَفَ الْحِكْمَةِ فَإِنَّهَا تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ. وَعَنِ الْحَسَنِ قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَحْيَى وَتَمُوتُ، فَإِذَا حَيَّتْ فَاحْمِلُوهَا عَلَى النَّافِلَةِ، وَإِذَا مَاتَتْ فَاحْمِلُوهَا عَلَى الْفَرِيضَةِ ^(١).

٨٦- الْحَاجِبُ الْمَنْصُورُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ عَامِرِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ الْمَعَاوِرِيِّ

هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ الْمَعَاوِرِيُّ وُلِدَ سَنَةَ (٣٢٧هـ) فِي الْجَزِيرَةِ الْخَضِرَاءِ فِي الْأَنْدَلُسِ، دَخَلَ جَدُّهُ مَعَ طَارِقِ بْنِ زِيَادٍ رضي الله عنه فَاتَحَيْنِ الْجَزِيرَةَ فِي جَنُوبِ الْأَنْدَلُسِ، وَهُوَ مِنْ أَصُولِ يَمَنِيَّةٍ وَكَانَ وَالِدُهُ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ أَهْلِ

(١) «أخبار الحمقى والمغفلين»: ص ١٥، للحافظ جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي القرشي البغدادي.

التَّقْوَى والدِّينَ فَنَشَأَ عَلَى التَّدِينِ وَتَعَلَّمَ الْحَدِيثَ وَالْأَدَبَ
وَعَمِلَ فِي الْأَنْسَابِ.

وَكَانَ ذَكِيًّا وَطَمُوحًا، وَعِنْدَمَا وُلِدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ لِصُبْحِ
الْبَشْكَنْسِيَّةِ - الْبَشْكَنْجِيَّةِ جَارِيَةِ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَنْصِرِ - رُشِّحَ
هَذَا الْفَتَى - مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ - لَوَكَاةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَنَةَ
(٣٥٦هـ)، لَكِنْ تَوَفَّى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَعْدَ فِتْرَةٍ، فَتَوَلَّى مُحَمَّدٌ
وَكَاةَ أَخِيهِ هِشَامٍ الْمَوْلُودِ بَعْدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ.

وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ تَدْرَجَ فِي الْمَنَاصِبِ الْعُلْيَا، فَعُيِّنَ أَمِينًا
لِدَارِ السَّكَّةِ، ثُمَّ كُلِّفَ النَّظَرَ عَلَى الْخِزَانَةِ الْعَامَّةِ وَخُطَّةِ
الْمَوَارِيثِ، ثُمَّ أَصْبَحَ قَاضِيًا ثُمَّ عُيِّنَ مُدِيرًا لِلشَّرْطَةِ ثُمَّ
قَاضِي الْقُضَاةِ ثُمَّ نَازِرًا عَلَى حَاشِيَةِ الْأَمِيرِ.

وَمِنْ بَرَاعَتِهِ وَكِفَائَتِهِ أَتَقَنَّ كُلَّ الْمَنَاصِبِ الْعَسْكَرِيَّةِ
وَالسِّيَاسِيَّةِ الْمُوَكَّلَةِ إِلَيْهِ فِي الْخِلَافَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي الْأَنْدَلُسِ،
وَأَصْبَحَ حَاجِبَ الْخَلِيفَةِ هِشَامِ الْمُؤَيَّدِ، لِذَا لُقِّبَ بِالْحَاجِبِ
الْمَنْصُورِ.

عِنْدَمَا تُوْفِّيَ الْحَاكِمُ الْمُسْتَنْصِرُ وَالِدُ هِشَامٍ فَرِحَ
النَّصَارَى بِمَوْتِهِ، وَوَجَدُوا الْفُرْصَةَ لِنَقْضِ الْعُهُودِ وَالْمَوَاقِيقِ
مَعَ الْمُسْلِمِينَ، كَيْ يُغَيِّرُوا عَلَى أَرْضِي الْمُسْلِمِينَ، فَبَدَّوْا
يَشْرَعُونَ بِالْهَجُومِ عَلَى الثُّغُورِ الْإِسْلَامِيَّةِ، بِحُجَّةِ الثَّأْرِ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَتَشْتِيتِ قَوَاهِمُ حَتَّى اشْتَدَّتْ هَجَمَاتُ
النَّصَارَى مِنَ الشَّامِ وَكَادَتْ تَصِلُ حَمَلَاتُهُمْ إِلَى قُرْطُبَةٍ
عَاصِمَةِ الْخِلَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْأَنْدَلُسِ.

اسْتَعَدَّ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ أَفْضَلَ اسْتِعْدَادٍ لِمُوَاجَهَةِ
النَّصَارَى، فَسَارَ سَنَةَ (٣٦٦هـ) إِلَى الشَّامِ وَوَاجَهَ
النَّصَارَى، وَاسْتَطَاعَ صَدَّهُمْ وَالْإِسْتِيلَاءَ عَلَى حِصْنِ الْحَامَةِ
- بَانِيُوسَ دِي مَوْلِغَاسَ - بَعْدَ هَرُوبِ جَيْشِ النَّصَارَى.

وَعَادَ مُحَمَّدٌ إِلَى قُرْطُبَةٍ بَعْدَ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ يَوْمًا مِنْ
خُرُوجِهِ مُحَمَّلًا بِالسَّبْيِ وَالْغَنَائِمِ، فَاسْتَطَاعَ بِشَجَاعَتِهِ رَفَعَ
الذِّلَّ وَدَحَرَ الْأَعْدَاءَ فَاسْتَبَشَرَ بِهِ النَّاسُ خَيْرًا، وَأَكْثَرَ مِنْ
الْعَطَاءَاتِ لِلْجُنُودِ وَالنَّاسِ، فَازْدَادَ قَدْرُهُ وَالتَفَّ النَّاسُ

حَوْلَهُ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْغَزْوَةُ أَوَّلَ مِفْتَاحِ الْخَيْرِ لَهُ.

تَكَرَّرَتْ غَزَوَاتُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي عَامِرٍ تُجَاهَ النَّصَارَى، حَتَّى فَتَحَ قَشْتَالَةَ وَحِصْنَ زَنْبَقٍ وَطُلَيْطَلَةَ وَدَخَلَ مَدِينَةَ شَلَمَنْقَةَ، وَقَادَ غَزَوَاتٍ كَثِيرَةً مَا يَتَجَاوَزُ خَمْسِينَ حَمَلَةً خِلَالَ الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ.

وَكَانَ يَعْتَنِي بِغُبَارِ الْمَعْرَكَةِ وَيَجْمَعُهُ فِي صُرَّةٍ لِيُدْفَنَ مَعَهُ وَهَذَا مِنْ شِدَّةِ خَوْفِهِ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِ، وَبَلَغَ مِنْ قُوَّةِ الْجَيْشِ فِي عَامِ (٣٨٨هـ)، أَنْ انْتَفَتِ الْحَاجَةُ إِلَى التَّجْنِيدِ الْإِجْبَارِيِّ أَثْنَاءَ الْغَزَوَاتِ، فَمَنْ تَطَوَّعَ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَمَأْجُورٌ، وَمَنْ خَفَ إِلَيْهِ، فَمَبْرُورٌ وَمَأْجُورٌ، وَمَنْ تَثَاقَلَ فَهُوَ مَعْذُورٌ، وَسَدَّ بَابَ الشَّفَاعَاتِ وَقَمَعَ أَهْلَ الْفِسْقِ وَأَمَّنَ النَّاسَ مِنَ الْمُجْرِمِينَ.

عِلْمًا أَنَّ كُلَّ اهْتِمَامِهِ بِالسِّيَاسَةِ وَالْعَسْكَرِ لَمْ يَشْغَلْهُ عَنْ عِمْرَانِ الْمَدِينَةِ فِي الْأَنْدَلُسِ، وَكَمَا أَنََّّهُ حَارَبَ الْفَلَسَفَةَ وَالْفَلَاسِفَةَ وَأَصْحَابَ التَّنْجِيمِ وَأَحْرَقَ كُتُبَهُمْ، وَأَبْدَلَ خَزَائِنَ مَكْتَبَاتٍ بِشِرَاءِ الْكُتُبِ النَّادِرَةِ مِمَّا زَادَ مِنْ ثَرَاءِ مَكْتَبَةِ قُرْطُبَةَ.



تَمَنَّى أَنْ يَمُوتَ شَهِيدًا فِي سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ، إِذْ كَانَ دَوْمًا
أَقْوَى مِنْ مُلُوكِ النَّصَارَى وَجِيوشِهِمْ، وَفِي كَثِيرٍ مِنَ الْحَالَاتِ
كَانَ هُوَ الَّذِي يُبَادِرُ إِلَى الْمَعْرَكَةِ، وَكَانَ الْإِنْتِصَارُ حَظَّهُ دَائِمًا
وَيَفْرِضُ شُرُوطَهُ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَيَرْجِعُ مُحَمَّلًا بِالْغَنَائِمِ
وَالْمَكَاسِبِ، وَهُوَ الْقَائِدُ الْوَحِيدُ الَّذِي دَخَلَ مَدِينَةَ سَانتِيَاغُو
الْمُقَدَّسَةِ عِنْدَ النَّصَارَى، لِذَا اضْطُرَّ مُلُوكُ النَّصَارَى أَنْ
يَتَحَالَفُوا ضِدَّ سُلْطَاتِ قُرْطَبَةَ، فَقَدْ تَحَالَفَ مَلِكُ نَبْرَةَ وَلِيُون
قَشْتَالَةَ وَتَوَحَّدُوا لِمُهَاجَمَةِ قُرْطَبَةَ، لَكِنْ فَاجَأَهُمُ الْمَنْصُورُ
فَخَرَجَ بِنَفْسِهِ لِمُلَاقَاتِهِمْ فِي عَامِ (٣٧١هـ - ٩٨١م) عِنْدَ
مَدِينَةِ رَوْضَةَ، فَأَنْزَلَ بِجَمْعِهِمْ، أَيَّ بِالْمُلُوكِ الثَّلَاثَةِ هَزِيمَةً
مُدمِّرةً فِي دُفْعَةٍ وَاحِدَةٍ، وَاحْتَلَّ حِصْنَ شَنْتِ مَنْكَشِ الْعَظِيمِ
وَحُصُونًا أُخْرَى لَهَا مَكَانَةٌ عَسْكَرِيَّةٌ مُهِمَّةٌ، كَمَا اسْتَهْدَفَ
أَرْضِي كَتَالُونِيَا وَمَرْفَأَ بَرِشْلُونَةَ.

وَلَمْ يَقْتَصِرْ اهْتِمَامُ الْمَنْصُورِ عَلَى شِبْهِ الْجَزِيرَةِ
الْأَنْدَلُسِيَّةِ فَحَسَبُ، بَلْ صَارَعَ مِرَارًا الْفَاطِمِيِّينَ - وَقَدْ ثَبَتَ
أَنَّ الْفَاطِمِيَّةَ هُمُ الْعَبِيدِيَّةُ مَجُوسِيَّةٌ وَلَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ آلِ

البيت أي نسب فاطمي - وواجههم، فقد حاول العبيديون الإطاحة بالدولة الأموية واعتبروا أنفسهم أحقّ منهم بإدارة الدولة، علماً بأنّ الأمويين هم الذين فتحوا تلك الديار والبُلدان والحُصون وصَحّوا بالكثير من الدماء والشهداء، وهم حامو تراث السُّنة في المنطقة ومانعو اندثارها.

ولهذا لم يتردّد المنصور لحظة واحدة أمام الخطر الزاحف من الشرق ومن حالف العبيديين من قبائل الأدارسة وقبيلة يفرن الزناتية، فدمرهم المنصور ومزّق قوتهم وأفشل محاولتهم لإحياء دولة شيعية في المغرب، وقد اتخذ المنصور من مدينة سبتة قاعدةً أساسيةً للجيش الأندلسي لمواجهةهم.

عزَمَ المنصور سنة (٣٩٢ هـ - ١٠٠٢ م) غزو أراضي قشتالة حتى وصل إلى أحواز مدينة برغش فانتصر عليهم وسبى وغنم، لكن داهمه المرض فرجع إلى مدينة سالم حيث اشتدّ عليه المرض، فانتقل إلى رحمة الله تعالى وكانت هذه الغزوة آخر غزواته ﷺ، ودُفِنَ بِأَكْفَانٍ صُنِعَتْ

لَهُ بَيْدَ بَنَاتِهِ مِنْ مَالِهِ الْخَالِصِ مَعَ صُرَّةِ ثَرَابٍ غَزَوَاتِهِ.

كَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ (٢٧ رَمَضَانَ ٣٩٢ هـ، والواقع في ١١
آبَ ١٠٠٢ م) عَنْ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ عَامًا.

قَالَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ: وَتَمَرَّسَ الْمَنْصُورُ بِبِلَادِ الشَّرْكِ أَعْظَمَ
تَمَرُّسٍ، وَمَحَا مِنْ طَوَاغِيَّتِهَا كُلَّ تَعَجُّرٍ وَتَعَطُّرٍ؛ وَغَادَرَهُمْ
صَرَعى الْبِقَاعِ، وَتَرَكَهُمْ أَذَلَّ مِنْ وَتْدِ بِقَاعٍ؛ وَوَالَى عَلَى بِلَادِهِمْ
الْوَقَائِعَ، وَسَدَّدَ إِلَى أَكْبَادِهِمْ سِهَامَ الْفَجَائِعِ؛ وَأَغْصَصَ بِالْحِمَامِ
أَرْوَاحَهُمْ، وَنَغَصَّ بِتِلْكَ الْأَلَامِ بُكُورَهُمْ وَرَوَاحَهُمْ^(١).

٨٧- مَنَعَ قَفِيزٌ وَدَرَهُمْ مِنْ قَبْلِ الْعَجَمِ

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: يُوشِكُ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَنْ لَا
يُجْبَى إِلَيْهِمْ قَفِيزٌ وَلَا دَرَهُمْ، قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَاكَ؟ قَالَ: مِنْ قَبْلِ
الْعَجَمِ، يَمْنَعُونَ ذَاكَ، ثُمَّ قَالَ: يُوشِكُ أَهْلُ الشَّامِ أَنْ لَا يُجْبَى
إِلَيْهِمْ دِينَارٌ وَلَا مُدِّيٌّ، قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَاكَ؟ قَالَ: مِنْ قَبْلِ الرُّومِ،

(١) «الْبَيَانُ الْمُغَرَّبُ فِي أَخْبَارِ الْمَغْرِبِ»: ١/ ٣١٩، لابن عذارى المراكشي.

ثُمَّ سَكَتَ هُنَيْئَةً، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْثِي الْمَالَ حَثِيًّا، لَا يَعُدُّهُ عَدَدًا»^(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْعَتِ الْعِرَاقُ دِرْهَمَهَا وَقَفِيزَهَا، وَمَنْعَتِ الشَّأْمُ مُدِّيَهَا وَدِينَارَهَا، وَمَنْعَتِ مِصْرُ إِزْدَبَهَا وَدِينَارَهَا، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ»^(٢)، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ». شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ لَحْمُ أَبِي هُرَيْرَةَ وَدَمُهُ^(٣).

يُشِيرُ الْحَدِيثُ إِلَى زَمَانٍ يَأْتِي عَلَى الْعِرَاقِ يُمْنَعُ مِنْ دَفْعِ الْجِزْيَةِ وَالْخَرَاجِ وَالزَّكَاةِ، وَيَتِمُّ الْمَنْعُ مِنْ طَرَفِ الْعَجَمِ، وَالْمَقْصُودُ بِالْعَجَمِ هُنَا الْكُفَّارُ، فَإِنَّهُمْ يَمْنَعُونَ أَهْلَ الْعِرَاقِ عَنْ دَفْعِ الْجِزْيَةِ وَالْخَرَاجِ وَالزَّكَاةِ إِلَى أَمْرَاءِ الْمُسْلِمِينَ.

(١) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: ٢٩١٣.

(٢) أَي: إِنَّكُمْ تَبْقَوْنَ عَالَةً عَلَى أَنْفُسِكُمْ، لَا تَجِدُونَ خَيْرَاتٍ بِأَدْوَمِكُمْ، كَمَا كَانَتْ فِي بَدَايَةِ أَمْرِ، وَهَذَا يُشِيرُ إِلَى اسْتِيلَاءِ الْعَجَمِ وَالرُّومِ وَمَنْ يَقُومُ مَقَامَهُمْ مِنْ جَدِيدٍ عَلَى الْمَنْطِقَةِ، وَيَمْنَعُونَ حُصُولَ مَنْفَعَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ، وَتَكَرَّرَ ثَلَاثًا لِلتَّأْكِيدِ وَالتَّشْبِيهِ.

(٣) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: ٢٨٩٦.

ثُمَّ أَشَارَ إِلَى أَنَّ أَهْلَ الشَّامِ أَيْضًا تُمْنَعُ مِنْ دَفْعِ الدِّينَارِ
وَالْخَرَاجِ وَالزَّكَاةِ، وَيَتِمُّ الْمَنْعُ مِنْ طَرَفِ الرُّومِ، وَالْمُرَادُ بِمَنْعِ
الْقَفِيزِ وَالْمُدِيِّ وَالدرهم والدينار والإردب هُوَ مَنْعُ خِيَرَاتِ
هَذِهِ الْبِلَادِ مِنَ الزَّكَاةِ وَالْعُشْرِ وَالْجِزْيَةِ وَالْخَرَاجِ.
وَهَذَا إِخْبَارٌ يُشِيرُ إِلَى وَقُوعِ أَمْرٍ فِي يَوْمٍ مِنَ الْآيَامِ، وَهُوَ أَنَّ
الْمُسْلِمِينَ سَيَفْتَحُونَ هَذِهِ الْبِلَادَ، وَأَنَّهَا سَتَكُونُ تَحْتَ إِمْرَتِهِمْ،
ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَعُودُ إِلَى سَطْوَةِ الْكُفَّارِ، وَيُمْنَعُونَ خِيَرَاتِ الْبِلَادِ
الَّتِي كَانَتْ تَأْتِي لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الْجِزْيَةِ وَخَرَاجِ الْأَرْضِ أَوْ
لِإِسْلَامِهِمْ فَتَسْقُطُ عَنْهُمْ الْجِزْيَةُ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَمْ تَحْجُبُوا دِينَارًا وَلَا
دِرْهَمًا؟ فَقِيلَ لَهُ: وَكَيْفَ تَرَى ذَلِكَ كَائِنًا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: إِي
وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ، عَنْ قَوْلِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ،
قَالُوا: عَمَّ ذَاكَ؟ قَالَ: «تُنْتَهَكُ ذِمَّةُ اللَّهِ، وَذِمَّةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَشُدُّ
اللَّهُ قُلُوبَ أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَيُمْنَعُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ» ^(١).

حَدَّثَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ سُوءِ عَاقِبَةِ عَدَمِ
التَّمَسُّكِ بِأَوَامِرِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقول: كَيْفَ

(١) «صحيح البخاري»: ٣١٨٠.

يَكُونُ حَالَكُمْ إِذَا لَمْ تَأْخُذُوا مِنَ الْجِزْيَةِ وَالْخَرَجِ دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا؟ فَتَعْجَبَ مَنْ حَوْلَهُ، وَسَلُّوا: كَيْفَ يَحْدُثُ هَذَا وَأَمْوَالُ الْجِزْيَةِ وَالْخَرَجِ تَتَوَالِي إِلَيْنَا؟ قَالَ: عِنْدَمَا تُنْتَهَكَ ذِمَّةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ؛ وَيَنْقُضَ الْمُسْلِمُونَ عَهْدَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَعَ أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَيُظْلِمُونَهُمْ وَيَعْتَدُونَ عَلَيْهِمْ، فَيُعَاقِبُهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ، فَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِهِمْ قُوَّةَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَيَنْزِعُ مَهَابَتَهُمْ مِنْهَا حَيْثُ «يَشُدُّ اللَّهُ ﷻ قُلُوبَ أَهْلِ الذِّمَّةِ»، فَلَا يَأْخُذُ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ شَيْئًا، فَتَضِيقُ أَحْوَالُهُمْ بِسَبَبِ وَقُوعِ هَذِهِ الشَّدَائِدِ بِالْمُسْلِمِينَ وَبِسَبَبِ انْتِهَاكِ حُرْمَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَمُعْظَمُ بُلْدَانِ الْمُسْلِمِينَ سَيَعَاوِدُ عَلَيْهَا الْكُفَّارُ، وَيَمْنَعُونَ مِنْ وُصُولِ حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِمْ.

٨٨- الْعَابِدُ التَّقِيُّ أَبُو بَكْرٍ النَّابُلَسِيُّ

ذَكَرَ ابْنُ كَثِيرٍ قِصَّةَ اسْتِشْهَادِ الْعَابِدِ التَّقِيِّ أَبِي بَكْرٍ النَّابُلَسِيِّ فَقَالَ: أَحْضَرَ إِلَى الْمُعِزِّ الْفَاطِمِيِّ -الْعَبِيدِي- الرَّافِضِي

الباطني الذي كان يفتخرُ بنسبه ويدّعي إنصافَ المَظْلومِ من الظالم، الزاهد العابدُ التقيُّ أبو بكرِ النَّابُلَسيُّ.

وأوقفَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْمُعِزُّ: بَلَّغْنِي عَنْكَ أَنَّكَ قُلْتَ: لَوْ أَنَّ مَعِيَ عَشْرَةَ أَشْهُمٍ لَرَمَيْتُ الرُّومَ بِتِسْعَةٍ، وَرَمَيْتُ الْمَصْرِيِّينَ بِسَهْمٍ، فَقَالَ: مَا قُلْتَ هَذَا، فَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ رَجَعَ عَنْ قَوْلِهِ، فَقَالَ: كَيْفَ قُلْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَنْبَغِي أَنْ نَرْمِيَكُمْ بِتِسْعَةٍ، ثُمَّ نَرْمِيَكُمْ بِالْعَاشِرِ، قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ: لِأَنَّكُمْ غَيَّرْتُمْ دِينَ الْأُمَّةِ، وَقَتَلْتُمُ الصَّالِحِينَ، وَأَطْفَأْتُمْ نُورَ الْإِلَهِيَّةِ، وَادَّعَيْتُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ. فَأَمَرَ بِإِسْهَارِهِ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ، ثُمَّ ضَرَبَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي بِالسَّيَاطِ ضَرْبًا شَدِيدًا مُبْرَحًا ثُمَّ أَمَرَ بِسَلْخِهِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، فَجِيءَ بِيَهُودِيٍّ فَجَعَلَ يَسْلُخُهُ وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، قَالَ الْيَهُودِيُّ: فَأَخَذْتَنِي رِقَّةً عَلَيْهِ، فَلَمَّا بَلَغْتَ تِلْقَاءَ قَلْبِهِ طَعَنْتُهُ بِالسَّكِّينِ، فَمَاتَ ﷺ، فَكَانَ يُقَالُ لَهُ: الشَّهِيدُ، وَإِلَيْهِ يُنْسَبُ بَنُو الشَّهِيدِ مِنْ أَهْلِ نَابُلُسَ إِلَى الْيَوْمِ، وَلَمْ تَزَلْ فِيهِمْ بَقَايَا خَيْرٍ، وَقَدْ كَانَ الْمُعِزُّ قَبَحَهُ اللَّهُ فِيهِ شَهَامَةٌ وَقُوَّةٌ حَزْمٍ وَشِدَّةٌ عَزْمٍ وَلَهُ

سياسة، وكان يُظهر أَنَّهُ يَعِدُلُ وَيَنْصُرُ الْحَقَّ، ولكنه كان مع ذلك مُنَجِّمًا يَعْتَمِدُ على حَرَكَاتِ النُّجُوم ^(١).

٨٩- الْمَفَاضِلَةُ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعَلِيٍّ

وَقَعَ نِزَاعٌ بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالشَّيْعَةِ فِي الْمَفَاضِلَةِ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعَلِيٍّ عليهما السلام فَرَضِيَ الْكُلُّ بِمَا يُجِيبُ بِهِ الشَّيْخُ أَبُو الْفَرَجِ ابْنُ الْجَوَازِيِّ فَأَقَامَا - أَيِ مِنَ السُّنَّةِ وَالشَّيْعَةِ - شَخْصًا سَأَلَهُ عَنِ ذَلِكَ، وَهُوَ - أَيِ ابْنِ الْجَوَازِيِّ - عَلَى الْكُرْسِيِّ فِي مَجْلِسٍ وَعَظِهِ فَقَالَ: أَفْضَلُهُمَا مَنْ كَانَتْ ابْنَتُهُ تَحْتَهُ، وَنَزَلَ فِي الْحَالِ حَتَّى لَا يُرَاجَعَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ السُّنَّةُ: هُوَ أَبُو بَكْرٍ؛ لِأَنَّ ابْنَتَهُ عَائِشَةَ عليها السلام تَحْتَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم.

وَقَالَتِ الشَّيْعَةُ: هُوَ عَلِيٌّ؛ لِأَنَّ فَاطِمَةَ ابْنَةَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم تَحْتَهُ.

(١) «البداية والنهاية»: ٦ / ٣٠٥، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن

كثير القرشي الدمشقي، متوفى ٧٧٤هـ.

فَحَسَمَ الْأَمْرَ بِجَوَابٍ نَادِرٍ وَلَطِيفٍ وَفِي غَايَةِ الْبَدِيدَةِ، فَهُوَ
خَيْرُ أَنْيْسٍ وَخَيْرُ جَلِيسٍ.

وَمَنْ أَعْجَبَ التَّغْفِيلِ: أَنَّ الرَّافِضَةَ يَعْلَمُونَ إِفْرَارَ عَلِيٍّ لِسَبِّهِ
أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَاسْتِيلَادَهُ الْحَنْفِيَّةَ مِنْ سَبِّ أَبِي بَكْرٍ، وَتَرْوِيجَ
أُمِّ كَلْثُومٍ ابْنَتِهِ مِنْ عُمَرَ، وَكُلَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى رِضَاهُ بَيْنَهُمَا
ثُمَّ فِيهِمْ مَنْ يُكْفَرُهُمَا، وَفِيهِمْ مَنْ يَسُبُّهُمَا، يَطْلُبُونَ بِذَلِكَ عَلَى
زَعْمِهِمْ حُبَّ عَلِيٍّ، وَمُوَافَقَتَهُ وَقَدْ تَرَكُوها وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ^(١).

٩٠- شاه جهان شهاب الدين محمد

وُلِدَ شَاهِ جِهَانَ (أَي: مَلِكُ الدُّنْيَا) شَهَابُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ
فِي لَاهُورِ سُلْطَنَةِ الْمَغُولِ فِي الْهِنْدِ عَامَ (١٥٩٢م)، وَهُوَ
مُسْلِمٌ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ، اسْتَمَرَّتْ سُلَالَتُهُمْ فِي
الْحُكْمِ مَا يُقَارِبُ (٣٠٠ عام).

(١) «أخبار الحمقى والمغفلين»: ص ٦٦، للحافظ جمال الدين أبي الفرج ابن
الجوزي القرشي البغدادي، متوفى ٥٩٧ هـ.

ولي شاه جهان العرش في الهند عام (١٦٢٨م)، وبدأ بالإصلاحات الدينية التي أحدثت من قبله من طرف جده محمد أكبر وكانت لا تزال متبعة في عهد والده جهانكير، ومن الإصلاحات التي أحدثها إلغاؤه السجود للإمبراطور، واتباع السنة الهجرية القمرية بدلاً عن الشمسية، وبعض الإصلاحات الإدارية، وأجزل العطاء للموظفين.

حدثت مجاعة خطيرة في سنة (١٦٣٠م)، واستمرت حتى (١٦٣٢م). مما أدى بالفقراء إلى أكل لحوم الحيوانات الميتة، وراح ضحيتها أناس كثير، فتبرع شاه جهان بالأموال الطائلة لمواجهة فقر الشعب.

واجه شاه جهان خطورة البرتغاليين الذين تمكنوا في البلاد، واستبدوا الأهالي وتحكموا في أموالهم وفرضوا عليهم الضرائب، وعملوا على تنمية ثرواتهم، واستغلوا الامتيازات التي منحت لهم، واستعملوها لمصالحهم وأقاموا أماكن محصنة لهم، ومارسوا تجارة الرقيق وظلموا الناس وأضرروا بإيرادات الدولة، فظل شاه يراقبهم وينتظر

الْفُرْصَةَ لِإِقَافِهِمْ بَعْدَ اسْتِيْلَائِهِمْ عَلَى الْفَرَى وَاسْتِبْدَادِهِمُ
الْأَهَالِي وَتَحْكُمِهِمْ بِأَرْزَاقِ النَّاسِ، وَمَارَسُوا الْعُنْفَ وَالْقَسْوَةَ
وَحَطَفَ أَطْفَالَ أَيْتَامِ الْمُسْلِمِينَ.

وَمِنْ جَانِبٍ آخَرَ بَدَلَ رِجَالُ الدِّينِ مِنَ الْقَسَاوِسَةِ الْبُرْتَغَالِيِّينَ
جَهْدَهُمْ لِنَتْصِيرِ الْمُسْلِمِينَ بِالْقُوَّةِ، وَأَثَارُوا كُرْهًا فِي نُفُوسِ
النَّاسِ بِتَعْصِيهِمُ الْمُقَيِّتِ، لَكِنْ مُحَاوَلَتُهُمْ لَمْ تَلَقِ إِقْبَالًا كَبِيرًا.

أَثَارَتْ وَقَاحَةُ الْبُرْتَغَالِيِّينَ سَخَطَ الْإِمْبِرَاطُورِ فَعَزَمَ عَلَى
تَأْذِيهِهِمْ وَوَضَعَ حَدًّا لِنُفُوذِهِمْ، فِي سَنَةِ (١٦٣١م) أَصْدَرَ
شَاهُ جِهَانَ أَمْرًا بِحَصَارِهِمْ وَتَحْطِيمِ مُسْتَعْمَرَتِهِمْ، حَتَّى
اسْتَعْرَقَ حِصَارُهُمْ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، فَاضْطُرَّ الْبُرْتَغَالِيُّونَ إِلَى دَفْعِ
الْجِزْيَةِ وَتَقْدِيمِ مَبَالِغِ ضَخْمَةٍ، لَكِنْ دُونَ جَدْوَى، بَدَأَ شَاهُ
جِهَانَ بِتَدْمِيرِ حُصُونِهِمْ وَقَضَى عَلَى جَمِيعِ جُنُودِهِمُ الْبَالِغِينَ
عَشْرَةَ آلَافٍ، وَحَرَّرَ عَشْرَةَ آلَافٍ مِنَ الْأَسْرَى، كَذَا انْتَهَتْ
الْمَعْرَكَةُ وَقَضَى عَلَى الْبُرْتَغَالِيِّينَ فِي الْهِنْدِ.

كَمَا وَاتَّخَذَ شَاهُ جِهَانَ سِيَاسَةَ مُعَادِيَةٍ لِلسُّلْطَانَةِ الشَّيْعِيَّةِ

واتخذ الحيلة منها، وبعد فترة هاجم قندهار فاستولى عليها،
لكن بعد معركة طويلة تفوق الجيش الفارسي واستولى على
قندهار، وبدأت آثار أطماع الفرس في بلاد الهند.

عاش شاه جهان أيامه الأخيرة في قلعة أجرا (أغرا)،
فمثل شخصية رجل عطوف رقيق القلب ذات دين وأخلاق
وقائد حازم، وفي عهده ازدهر البلد وتقدم سواء في النواحي
المادية أو الحضارية، فبلغت في عهده العمارة الإسلامية
أوجها، وأجمل هذه العمارة ما يُعرف بـ «تاج محل» الذي
بناه لزوجته في مدينة أجرا في شمال الهند عندما توفيت،
دفنت في تاج محل، وإلى الآن هذا التراث قائم للزائرين،
ويثق الجميع على روعته، توفي شاه جهان عام (١٦٦٦م).

٩١- عبد الله بن المبارك

وُلد في مرو في تركمنستان، ونشأ في أسرة متواضعة،
ورحل إلى اليمن ومصر والشام والحجاز والجزيرة والبصرة
وبغداد والكوفة.

قَالَ ابْنُ الْجَوَازِيِّ عَنْهُ: يُكْنَى أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، كَانَ أَبُوهُ
تُرْكِيًّا، عِنْدَ رَجُلٍ مِنَ التُّجَّارِ مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ، وَكَانَتْ أُمُّهُ تُرْكِيَّةً
خَوَارِزْمِيَّةً، وَلَدَ سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَمِئَةً، وَقِيلَ: تِسْعَةَ عَشْرَةَ.
وَقَالَ نَعِيمُ بْنُ حَمَّادٍ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ يُكْثِرُ الْجُلُوسَ
فِي بَيْتِهِ فَقِيلَ لَهُ: أَلَا تَسْتَوْحِشُ؟ فَقَالَ: كَيْفَ أَسْتَوْحِشُ وَأَنَا مَعَ
النَّبِيِّ ﷺ؟

وَقَالَ شَقِيقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: قِيلَ لَابْنِ الْمُبَارَكِ: إِذَا صَلَّيْتَ مَعَنَا
لَمْ تَجْلِسْ مَعَنَا؟ قَالَ: أَذْهَبُ أَجْلِسُ مَعَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ،
قُلْنَا لَهُ: وَمِنْ أَيْنَ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ؟ قَالَ: أَذْهَبُ أَنْظُرُ فِي
عِلْمِي فَأَدْرِكُ آثَارَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ، وَمَا أَصْنَعُ مَعَكُمْ؟ أَنْتُمْ
تَغْتَابُونَ النَّاسَ.

وَعَنْ حَبَّانِ بْنِ مُوسَى قَالَ: عَوْتَبَ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِيمَا يُقْرَى
مِنَ الْمَالِ فِي الْبُلْدَانِ وَلَا يَفْعَلُ فِي أَهْلِ بَلَدِهِ كَذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي
أَعْرِفُ مَكَانَ قَوْمٍ لَهُمْ فَضْلٌ وَصِدْقٌ طَلَبُوا الْحَدِيثَ وَأَحْسَنُوا
الطَّلَبَ، فَاحْتَجَّوْا، فَإِنْ تَرَكَنَاهُمْ ضَاعَ عِلْمُهُمْ، وَإِنْ أَعْنَاهُمْ بَثَّ
الْعِلْمُ لِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَا أَعْلَمُ بَعْدَ النَّبِيِّ أَفْضَلَ مِنْ بَثِّ الْعِلْمِ.

وعن الحسين بن الحسن المروزي قال: سمعتُ ابنَ المباركِ يقولُ: أَهْلُ الدُّنْيَا خَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ يَتَطَعَّمُوا أَطِيبَ مَا فِيهَا، قِيلَ لَهُ: وَمَا أَطِيبُ مَا فِيهَا؟ قَالَ: الْمَعْرِفَةُ بِاللَّهِ ﷻ.

وعن علي بن الحسن بن شقيق، قال: سمعتُ ابنَ المباركِ يقولُ: لِأَنَّ أَرْدَ دِرْهَمًا مِنْ شُبْهَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِمِائَةِ أَلْفٍ وَمِائَةِ أَلْفٍ، حَتَّى بَلَغَ سِتِّمِائَةِ أَلْفٍ.

وعن محمد بن علي بن الحسن بن شقيق قال: سمعتُ أبي يقولُ: كَانَ ابْنُ الْمُبَارَكِ إِذَا كَانَ وَقْتُ الْحَجِّ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ إِخْوَانُهُ مِنْ أَهْلِ مَرَوْ، فَيَقُولُونَ: نَصْحَبُكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَيَقُولُ لَهُمْ: هَاتُوا نَفَقَاتِكُمْ، فَيَأْخُذُ نَفَقَاتِهِمْ فَيَجْعَلُهَا فِي صُنْدُوقٍ وَيُقْفِلُ عَلَيْهَا ثُمَّ يَكْتَرِي لَهُمْ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ مَرَوْ إِلَى بَغْدَادَ، فَلَا يَزَالُ يُنْفِقُ عَلَيْهِمْ وَيُطْعِمُهُمْ أَطِيبَ الطَّعَامِ وَأَطِيبَ الْحُلُوءِ.

ثُمَّ يَخْرِجُهُمْ مِنْ بَغْدَادَ بِأَحْسَنِ زِيٍّ وَأَكْمَلِ مَرُوءَةٍ، حَتَّى يَصْلُوا إِلَى مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ فَإِذَا صَارُوا إِلَى الْمَدِينَةِ قَالَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ: مَا أَمْرُكَ عِيَالُكَ أَنْ تَشْتَرِيَ لَهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ، مِنْ طَرَفِهَا؟ فَيَقُولُ: كَذَا، ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ إِلَى مَكَّةَ، فَإِذَا

وَصَلُّوا إِلَى مَكَّةَ فَقَضَوْا حَوَائِجَهُمْ قَالَ لِكُلِّ [رَجُلٍ] مِنْهُمْ:
 مَا أَمْرُكَ عِيَالُكَ أَنْ تَشْتَرِيَ لَهُمْ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ؟ فَيَقُولُ: كَذَا
 وَكَذَا، فَيَشْتَرِي لَهُمْ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ مَكَّةَ، فَلَا يَزَالُ يُنْفِقُ عَلَيْهِمْ
 حَتَّى يَصِيرُوا إِلَى مَكَّةَ، فَإِذَا وَصَلُوا إِلَى مَرَوْ جَصَّصَ أَبْوَابَهُمْ
 وَدَوَّرَهُمْ، فَإِذَا كَانَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ صَنَعَ لَهُمْ وَلِيمَةً وَكَسَاهُمْ
 فَإِذَا أَكَلُوا وَشَرَبُوا دَعَا بِالصُّنْدُوقِ فَفَتَحَهُ وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ
 مِنْهُمْ صُرَّتَهُ بَعْدَ أَنْ كَتَبَ عَلَيْهَا اسْمَهُ.

وَعَنْ عَبْدِ بْنِ سُلَيْمَانَ قَالَ: كُنَّا فِي سَرِيَّةٍ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
 الْمُبَارَكِ فِي بِلَادِ الرُّومِ فَصَادَفْنَا الْعَدُوَّ، فَلَمَّا التَقَى الصَّفَانِ خَرَجَ
 رَجُلٌ مِنَ الْعَدُوِّ فَدَعَا إِلَى الْبِرَازِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَطَارَدَهُ سَاعَةً
 فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ آخَرَ فَقَتَلَهُ؛ ثُمَّ دَعَا إِلَى الْبِرَازِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَجُلٌ
 فَطَارَدَهُ سَاعَةً فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ؛ فَازْدَحَمَ عَلَيْهِ النَّاسُ وَكُنْتُ فِي مَن
 اازْدَحَمَ عَلَيْهِ فَإِذَا هُوَ مُلْتَمِمْ وَجْهَهُ بِكُمِّهِ، فَأَخَذْتُ بِطَرْفِ كُمِّهِ
 فَمَدَدْتُهُ فَإِذَا هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، فَقَالَ: وَأَنْتَ يَا أَبَا عَمْرٍو
 مِمَّنْ يُشْنَعُ عَلَيْنَا.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ فُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ قَالَ: رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ

ابن المبارك في المنام فقلت: أي الأعمال وجدت أفضل؟
قال: الأمر الذي كنت فيه، قلت: الرباط والجهاد؟ قال:
نعم، قلت: فأني شيء صنع بك ربك؟ قال: غفر لي مغفرة
ما بعدها مغفرة، وكلمتني امرأة من أهل الجنة أو امرأة من
الحرور العين^(١).

٩٢- أنفع الكلام

سئل حمدون بن أحمد القصّار: ما بال كلام السلف أنفع
من كلامنا؟
قال: لأنهم تكلموا لعزّ الإسلام، ونجاة النفوس، ورضا
الرحمن، ونحن نتكلم لعزّ النفوس، وطلب الدنيا، ورضا
الخلق^(٢).

(١) «صفة الصفوة»: ص ٦٥٤-٦٥٧، للحافظ جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي
القرشي البغدادي. توفي عبد الله بن مبارك رحمه الله في مدينة هيت بمحافظة الأنبار
بغرب العراق، وكانت وفاته في رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة، وما زال قبره
معلومًا في مدينة هيت.

(٢) «صفة الصفوة»: ١٢٢/٢، للإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن
محمد بن علي القرشي البغدادي المعروف بابن الجوزي، متوفى ٥٩٧ هـ.

٩٣- حمل الدقيق ليلاً

حدَّثنا جريرٌ، عن عمرو بن ثابتٍ، قال: لَمَّا مَاتَ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) فَغَسَّلُوهُ جَعَلُوا يَنْظُرُونَ إِلَى آثَارِ سَوَادٍ بَظْهِرِهِ، فَقَالُوا: مَا هَذَا؟ فَقِيلَ: كَانَ يَحْمِلُ جُرْبَ الدَّقِيقِ لَيْلاً عَلَى ظَهْرِهِ يُعْطِيهِ فُقَرَاءَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ^(١).

٩٤- إذا تخاصموا لم يتجاوزوا

قال السيوطي: إن شئت أن تصير من الأبدال، فحوّل خُلُقَكَ إِلَى بَعْضِ خُلُقِ الْأَطْفَالِ فِيهِمْ خَمْسُ خِصَالٍ لَوْ كَانَتْ فِي الْكِبَارِ لَكَانُوا أَبْدَالاً، لَا يَهْتَمُونَ لِلرِّزْقِ، وَلَا يَشْكُونَ مِنْ خَالِقِهِمْ إِذَا مَرَضُوا، وَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ مَجْتَمِعِينَ، وَإِذَا خَافُوا جَرَّتْ عُيُونُهُمْ بِالْذُّمِّ، وَإِذَا تَخَاصَمُوا لَمْ يَتَجَاوَزُوا وَتَسَارَعُوا إِلَى الصُّلْحِ^(٢).

(١) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»: ١٣٦/٣، للحافظ أبي نعيم أحمد بن

عبد الله الأصبهاني، متوفى ٤٣٠ هـ.

(٢) «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة»: ٦/٢، للإمام جلال الدين

عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، متوفى ٩١١ هـ.

٩٥- رَغِبْتَ إِلَيْهَا لِتَزْدَادَ عِزًّا

عَنْ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى يَقُولُ: كُنْتُ عِنْدَ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ أَشْكُو إِلَيْكَ مِنْ فُلَانَةٍ - يَعْنِي امْرَأَتَهُ - أَنَا أَذُلُّ الْأَشْيَاءِ عِنْدَهَا وَأَحْقَرُهَا، فَأَطْرَقَ سُفْيَانُ مَلِيًّا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: لَعَلَّكَ رَغِبْتَ إِلَيْهَا؛ لِتَزْدَادَ عِزًّا، فَقَالَ: نَعَمْ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، قَالَ: مَنْ ذَهَبَ إِلَى الْعِزِّ ابْتُلِيَ بِالذُّلِّ، وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى الْمَالِ ابْتُلِيَ بِالْفَقْرِ، وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى الدِّينِ يَجْمَعُ اللَّهُ لَهُ الْعِزَّ وَالْمَالَ مَعَ الدِّينِ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَحْدِثُهُ، فَقَالَ: كُنَّا إِخْوَةً أَرْبَعَةً، مُحَمَّدٌ وَعِمْرَانُ وَإِبْرَاهِيمُ وَأَنَا، فَمُحَمَّدٌ أَكْبَرُنَا، وَعِمْرَانُ أَصْغَرُنَا، وَكُنْتُ أَوْسَطَهُمْ، فَلَمَّا أَرَادَ مُحَمَّدٌ أَنْ يَتَزَوَّجَ رَغِبَ فِي الْحَسَبِ، فَتَزَوَّجَ مَنْ هِيَ أَكْبَرُ مِنْهُ حَسَبًا، فَابْتَلَاهُ اللَّهُ بِالذُّلِّ، وَعِمْرَانُ رَغِبَ فِي الْمَالِ، فَتَزَوَّجَ مَنْ هِيَ أَكْثَرُ مِنْهُ مَالًا فَابْتَلَاهُ اللَّهُ بِالْفَقْرِ، أَخَذُوا مَا فِي يَدَيْهِ وَلَمْ يُعْطَوْهُ شَيْئًا، فَبَقِيتُ فِي أَمْرِهِمَا، فَقَدِمَ عَلَيْنَا مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ، فَشَاوَرْتُهُ وَقَصَصْتُ عَلَيْهِ قِصَّةَ إِخْوَتِي، فَذَكَرَنِي حَدِيثَ يَحْيَى بْنِ جَعْدَةَ وَحَدِيثَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَأَمَّا حَدِيثُ يَحْيَى بْنِ جَعْدَةَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«تُنَكِّحُ الْمَرْأَةَ عَلَى أَرْبَعٍ، عَلَى دِينِهَا وَحَسَبِهَا وَمَالِهَا وَجَمَالِهَا،
فَعَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ».

وحدیث عائشة رضی اللہ عنہا، أن النبی صلی اللہ علیہ وسلم قال: «أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةً
أَيْسَرُهُنَّ مَوْنَةً»، فاخترت لنفسی الدینَ وتخفیفَ الظَّهر اقتداءً
بسنة رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم فجمع الله لي العزَّ والمالَ مع الدین ^(١).

٩٦- نَقْضُ الْعُهُودِ

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِمَنْ يَنْقُضُ الْعُهُودَ، بِمَنْ تَغْزِلُ الْغَزَلَ
الْقَوِيَّ، فَإِذَا مَا تَمَّ نَقْضُ الْغَزْلِ، وَلَمْ يَبْقَ لَهَا مِنْهُ إِلَّا التَّعَبُ
وَالْعَنَاءُ، وَهَذَا أَوْضَحُ مِثَالٍ عَلَى سَفَاهَةِ الْعَقْلِ، كَمَا يُقَالُ فِي
الْمَثَلِ التُّرْكْمَانِيَّ: كَمَنْ يُعْرِبِلُ، ثُمَّ يَخْلُطُ قِشْرَهُ بِالْذَّقِيقِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ
قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ

(١) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»: ٧/ ٢٩٠، للحافظ أبي نعيم أحمد بن

عبد الله الأصبهاني، متوفى ٤٣٠ هـ.

أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا
كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١﴾ [النحل: ٩٢].

قال البغوي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ
غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ أي: مِنْ بَعْدِ غَزْلِهِ وَإِحْكَامِهِ.

قَالَ الْكَلْبِيُّ، وَمُقَاتِلٌ: هِيَ امْرَأَةٌ خَرَقَاءُ حَمَقَاءُ مِنْ قُرَيْشٍ،
يُقَالُ لَهَا رِبْطَةٌ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ سَعْدِ بْنِ كَعْبِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ
تَمِيمٍ وَتُلَقَّبُ بِجَعْرِ، وَكَانَتْ بِهَا وَسْوَسةٌ، وَكَانَتْ اتَّخَذَتْ
مَغْزَلًا بِقَدْرِ ذِرَاعٍ وَصِنَارَةٍ مِثْلَ الْأُصْبُعِ، وَفَلَكَاةً عَظِيمَةً، عَلَى
قَدْرِهَا، وَكَانَتْ تَغْزِلُ الْغَزْلَ مِنَ الصُّوفِ وَالشَّعْرِ وَالْوَبَرِ، وَتَأْمُرُ
جَوَارِيَهَا بِذَلِكَ، فَكُنَّ يَغْزِلْنَ مِنَ الْغَدَاةِ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ فَإِذَا
انْتَصَفَ النَّهَارُ أَمَرْنَهُنَّ بِنَقْضِ جَمِيعِ مَا غَزَلْنَ، فَهَذَا كَانَ دَأْبُهَا.
وَمَعْنَاهُ: أَنَّهَا لَمْ تَكُفَّ عَنِ الْعَمَلِ، وَلَا حِينَ عَمِلَتْ كَفَّتْ
عَنِ النَّقْضِ، فَكَذَلِكَ أَنْتُمْ إِذَا نَقَضْتُمُ الْعَهْدَ، لَا كَفَقْتُمُ عَنِ
الْعَهْدِ وَلَا حِينَ عَاهَدْتُمْ وَقَيْتُمْ بِهِ ^(١).

(١) «تفسير البغوي»: ٤/ ٤٦، سورة النحل، للإمام المحدث الفقيه أبي محمد

الحسين بن مسعود الفراء البغوي، متوفى ٥١٦ هـ.

٩٧- احذر الغلول

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «غَزَا نَبِيٌّ^(١) مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لَا يَتَّبِعْنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا وَلَمَّا يَبْنِ بِهَا، وَلَا أَحَدٌ بَنَى بُيُوتًا وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلَا أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خِلْفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ وَلَادَهَا، فَغَزَا، فَدَنَا مِنَ الْقَرْيَةِ صَلَاةَ الْعَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إِنَّكَ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ، اللَّهُمَّ احْسِبْهَا عَلَيْنَا، فَحِسِبْتَ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَجَمَعَ الْغَنَائِمَ، فَجَاءَتْ - يَعْنِي النَّارَ - لِتَأْكُلَهَا، فَلَمْ تَطْعَمْهَا، فَقَالَ: إِنَّ فِيكُمْ غُلُولًا، فَلْيُبَايِعْنِي مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمْ الْغُلُولُ، فَلْيُبَايِعْنِي قَبِيلَتَكَ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمْ الْغُلُولُ، فَجَاؤُوا بِرَأْسٍ مِثْلِ رَأْسِ بَقَرَةٍ مِنَ الذَّهَبِ، فَوَضَعُوهَا، فَجَاءَتْ النَّارُ، فَأَكَلَتْهَا. ثُمَّ أَحَلَّ اللَّهُ لَنَا

(١) ذكر الحاكم في «المستدرک» عن نبیٍّ من الأنبياء السابقين، فقيل: إنه يوشع ابن نون عليه السلام أراد الخروج لغزو المدينة - أريحا فلسطين - وذكر كيف حدث الغلول، وأخذ من الغنيمة بغير حق.

الْغَنَائِمِ؛ رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجَزَنَا فَأَحَلَّهَا لَنَا»^(١).

طلبَ النبيُّ يُوْشَعَ عليه السلام من قومه ألا يخرج معه للحربِ
ثلاثة أصناف من الناس:

الأوّل: رجلٌ تزوج، ولكنه لم يدخل بها؛ وذلك لتعلّق
قلبه بها، فيشتغل عمّا هو عليه من الجهاد.

والثاني: رجلٌ بنى بيتاً ولم يرفع سقفها، ولم يكمل بناءها.

والثالث: رجلٌ اشترى غنماً أو خلفاتٍ - هي الحوامل

من الإبل - ينتظر ولادتها.

فانطلقوا إلى الغزو، وقرب من القرية عند صلاة العصر

أو قريباً من ذلك وكان يوم الجمعة، واستمر القتال مع الكفار،

حتى كادت الشمس تغرب، أي: سوف تدخل ليلة السبت،

وفي يوم السبت لا يحلّ لهم القتال، فخاف يوشع عليه السلام أن

يعجزوا ولم ينته الجهاد، فخاطب الشمس، فقال لها: «**إِنَّكَ**

مَأْمُورَةٌ» بالغروب «وَأَنَا مَأْمُورٌ» بالقتال، فدعا الله تعالى أن

يحبس الشمس فلا تغرب حتى ينهي الغزو «**فَحَبَسَتْ**» أي:

(١) متفق عليه. «أخرجه البخاري»: ٣١٢٤، و«مسلم»: ١٧٤٧.

لم تَغْرُبْ، حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْقَرْيَةَ وَتَمَّ الْجِهَادُ، وَجَمَعُوا
الْغَنَائِمَ، وَكَانَتْ فِي شَرِيعَةِ تِلْكَ الْأُمَّةِ إِذَا غَنِمُوا غَنِيمَةً،
يَجْمَعُونَهَا فِي مَوْضِعٍ فَيَبِيعُ اللهُ عَلَيْهَا النَّارَ فَتَأْكُلُهَا، فَجَاءَتْ
النَّارُ وَلَكِنْ لَمْ تَأْكُلْهَا، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ الْقَبُولِ، وَوُجُودِ
الْغُلِّ - أي: سرقة - فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ يُوْشَعَ **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: «**إِنَّ فِيكُمْ**
غُلُولًا» أي: هناك من أخذ من الغنيمة بغيرِ حَقٍّ، وَلَكِنِّي يَعْرِفُ
مَنْ أَخَذَ وَسَرَقَ مِنَ الْغَنِيمَةِ، طَلَبَ أَنْ يُبَايِعَهُ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ
شَخْصٌ، فَيَصَافِحُهُ لِيَكْشِفَ مِنْ أَيِّ قَبِيلَةٍ وَقَعَتِ السَّرَقَةُ، فَلَمَّا
بَايَعُوهُ التَّصَقَّتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ، وَكَانَتْ هَذِهِ عَلَامَةٌ عَلَى وُجُودِ
الْخِيَانَةِ وَالسَّرَقَةِ مِنْ هَذِهِ الْقَبِيلَةِ، فَأَخْبَرَ أَنَّ فِي هَذِهِ الْقَبِيلَةِ مِنْ
سَرَقٍ، وَقَالَ لَهُ: «**فَلْتُبَايِعْنِي قَبِيلَتُكَ**» أي: كل شخص فردًا
فردًا، فَلَمَّا بَايَعُوهُ التَّصَقَّتْ يَدُ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ:
«**فِيكُمْ الْغُلُولُ**» أي: أنتم الذين غلَّيْتُمْ مِنَ الْغَنِيمَةِ، فَطَلَبَ
مِنْهُمْ أَنْ يُرْدُّوهُ «**فَجَاؤُوا بِرَأْسٍ مِثْلِ رَأْسِ بَقَرَةٍ مِنَ الذَّهَبِ**»
استرجعوها إلى الغنيمة، «**فَوَضَعُوهَا**» أي: مع الغنائم كانت
مجمعة عندهم، «**فَجَاءَتِ النَّارُ فَأَكَلَتْهَا**»؛ لِأَنَّهَا أَصْبَحَتْ

بذلك غنيمةً كاملةً لا غُلُولَ فيها، فَقَبِلَهَا اللهُ ﷻ منهم «ثم أحلَّ اللهُ لنا الغنائم؛ رأى ضعفنا وعجزنا فأحلَّها لنا» أي: إشارةً إلى عجزنا وضعفنا، وقد خصَّ اللهُ أمَّةَ محمدٍ ﷺ بأن جعل لهم الغنائم حلالاً رَحمةً بهم، وهذا من نعمة الله تعالى علينا، ولم يُحِلَّها لغيرهم من الأمم؛ لئلا يكون قتالهم لأجل الغنيمة؛ وإنما تبقى خالصة لوجهه الكريم.

٩٨- في آخر الزمان

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أَنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُم مَّا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَيَأْيَاكُمْ وَيَأْيَاهُمْ»^(١).

أخبرنا النَّبِيُّ ﷺ عن كثيرٍ مِنَ الْفِتَنِ التي تحدث في آخرِ الزَّمانِ، فيكون من الأمَّة مَنْ يَكْذِبُ وَيَتَّبِعُ أَحْكَامًا باطلةً، وينشر أفكارًا فاسدةً تُفْسِدُ عَلَيْهِمُ الدِّينَ وتُلَبِّسُ عَلَى النَّاسِ في معتقداتهم.

(١) «صحيح مسلم»: ٦، أورده مسلم في مقدمة الصحيح.

قال ابن مفلح الحنبليُّ قبل قُرُونٍ: من عَجِيب ما نَقَدَتْ
 مِنْ أَحْوَالِ النَّاسِ كَثْرَةُ مَا نَاحُوا عَلَى خَرَابِ الدِّيَارِ وَمَوْتَ
 الْأَقَارِبِ وَالْأَسْلَافِ، وَالتَّحَسُّرُ عَلَى الْأَرْزَاقِ، بِذِمِّ الزَّمَانِ
 وَأَهْلِهِ، وَذِكْرِ نَكْدِ الْعِيشِ فِيهِ، قَدْ رَأَوْا مِنْ انْهْدَامِ الْإِسْلَامِ،
 وَشَعَثِ الْأَدْيَانِ، وَمَوْتَ السُّنَنِ، وَظُهُورِ الْبَدْعِ، وَارْتِكَابِ
 الْمَعَاصِي، وَتَقْضِي الْعَمْرِ فِي الْفَارِغِ الَّذِي لَا يَجْدِي،
 فَلَا أَجْدُ مِنْهُمْ مَنْ نَاحَ عَلَى دِينِهِ، وَلَا بَكَى عَلَى فَارِطِ
 عَمْرِهِ، وَلَا تَأَسَّى عَلَى فَائَتْ دَهْرِهِ، وَلَا أَرَى لَذَلِكَ سَبَبًا
 إِلَّا قَلَّةً مَبَالِغَتِهِمْ بِالْأَدْيَانِ وَعِظَمَ الدُّنْيَا فِي عَيُونِهِمْ، ضِدَّ مَا
 كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ يَرْضَوْنَ بِالْبَلَاحِ وَيُنُوحُونَ عَلَى
 الدِّينِ^(١).

(١) «الآداب الشَّرْعِيَّةُ وَالْمَنْحُ الْمَرْعِيَّةُ»: ١٦٨/٢، للإمام شمس الدين أبي عبد الله
 محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي، متوفى ٧٦٣ هـ.

١٠٠- «وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِشُعْبٍ فِيهِ عُيَيْنَةٌ مِنْ مَاءٍ عَذْبَةٍ، فَأَعْجَبَتْهُ، فَقَالَ: لَوْ اعْتَزَلْتُ النَّاسَ، فَأَقَمْتُ فِي هَذَا الشُّعْبِ، وَلَنْ أَفْعَلَ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «لَا تَفْعَلْ؛ فَإِنَّ مَقَامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَامًا، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ، وَيُدْخِلَكُمُ الْجَنَّةَ؟ اغْزُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُؤَادًا نَاقَةً؛ وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»^(١).

١٠١- «ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمْنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ».

(١) أخرجه الترمذي: ١٦٥٠، و«أحمد»: ١٠٧٨٦.

وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ يَعْمَلُ أَهْلَ النَّارِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ أَحَدُ الْجَنَّةِ إِلَّا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ لَوْ أَسَاءَ، لِيَزْدَادَ شُكْرًا.

وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ إِلَّا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ لَوْ أَحْسَنَ، لِيَكُونَ عَلَيْهِ حَسْرَةٌ»^(٢).

١٠٢ - خَتْمَةُ الْقُرْآنِ

قَالَ الْحِمَّانِيُّ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا بَكْرٍ بَنَ عِيَّاشٍ الْوَفَاةُ بَكَتْ أُخْتُه، فَقَالَ: لَا تَبْكِي - وَأَشَارَ إِلَى زَاوِيَةٍ فِي الْبَيْتِ - إِنَّهُ قَدْ خَتَمَ أَخُوكَ فِي هَذِهِ الزَّاوِيَةِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفَ خَتْمَةٍ.

قَالَ الرَّبِيعُ: وَكَانَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقْرَأُ فِي كُلِّ شَهْرٍ

(١) «صحيح مسلم»: ٢٦٥١.

(٢) «صحيح البخاري»: ٦٥٦٩.

ثَلَاثِينَ خَتْمَةً، وَفِي كُلِّ شَهْرِ رَمَضَانَ سِتِّينَ خَتْمَةً، سِوَى مَا يَفْرَأُ فِي الصَّلَوَاتِ ^(١).

١٠٣- أَيْنَ مَنَزَلِي فِي الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ؟

قَالَ أَبُو عِيَّاشٍ الْقَطَّانُ: بَلَغْنَا أَنَّهُ كَانَ مَلِكٌ كَثِيرُ الْمَالِ، وَكَانَتْ لَهُ ابْنَةٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ غَيْرُهَا، وَكَانَ يُحِبُّهَا حُبًّا شَدِيدًا، وَكَانَ يُلْهِمُهَا بِصُنُوفِ اللَّهْوِ، فَمَكَثَ كَذَلِكَ زَمَانًا.

وَكَانَ إِلَى جَانِبِ الْمَلِكِ عَابِدٌ، فَبَيْنَا هُوَ ذَاتَ لَيْلَةٍ يَقْرَأُ إِذْ رَفَعَ صَوْتَهُ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَاؤْمِنُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحریم: ٦].

فَسَمِعَتِ الْجَارِيَةُ قِرَاءَتَهُ، فَقَالَتْ لِجَوَارِيهَا: كُفُّوا! فَلَمْ يَكْفُوا، وَجَعَلَ الْعَابِدُ يُرَدِّدُ الْآيَةَ، وَالْجَارِيَةُ تَقُولُ لَهُمْ: كُفُّوا!

(١) «الأريج في المواعظ والتواريخ»: ص ٣٧، للإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي القرشي البغدادي المعروف بابن الجوزي، متوفى ٥٩٧هـ.

فَلَمْ يَكْفُوا؛ فَوَضَعَتْ يَدَهَا فِي جَيْبِهَا فَشَقَّتْ ثِيَابَهَا!
فَانْطَلَقُوا إِلَى أَبِيهَا؛ فَأَخْبَرُوهُ بِالْقِصَّةِ.
فَأَقْبَلَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: يَا حَبِيبَتِي! مَا حَالُكَ مُنْذُ اللَّيْلَةِ؟ مَا
يُبْكِيكَ؟ وَصَمَّمَا إِلَيْهِ.
فَقَالَتْ: أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ يَا أَبَه! اللَّهُ عَلَيْكَ دَارٌ فِيهَا نَارٌ وَقُودُهَا
النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ.
قَالَتْ: وَمَا يَمْنَعُكَ يَا أَبَه! أَنْ تُخْبِرَنِي؟
وَاللَّهِ لَا أَكَلْتُ طَيِّبًا، وَلَا نِمْتُ عَلَى لَيْلٍ، حَتَّى أَعْلَمَ أَيْنَ
مَنْزِلِي فِي الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ؟^(١)

١٠٤- فَإِنَّا عَلَىٰ إِثْرِكَ مَاضُونَ

كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا رَأَى أَحَدًا يَحْمِلُ جِنَازَةً!
يَقُولُ لَهَا: امْضِي إِلَىٰ رَبِّكَ؛ فَإِنَّا عَلَىٰ إِثْرِكَ مَاضُونَ^(٢).

(١) «صفة الصفوة»: ٣٥٣/٢، لابن الجوزي، متوفى ٥٩٧هـ.

(٢) «تنبيه المغترين أو آخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر»:

ص ٥٤، لأبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني، متوفى ٩٧٣هـ.

عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْلَمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْمَقَابِرِ أَنْ يَقُولَ قَائِلُهُمْ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ» ^(١).

١٠٥ - لَا أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزَّبِيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ أَرَوَى بِنْتَ أُوَيْسٍ أَدَعَتْ عَلَى سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا، فَخَاصَمَتْهُ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ. فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا كُنْتُ أَخْذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: وَمَاذَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَخَذَ شَيْئًا مِنَ الْأَرْضِ - يَعْنِي: ظُلْمًا - طَوَّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ».

فَقَالَ مَرْوَانُ: لَا أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا، قَالَ: اللَّهُمَّ! إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَأَعِمَّ بَصَرَهَا، وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا. قَالَ: فَمَا مَاتَتْ

(١) رواه مسلم: ٩٧٥.

حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا، ثُمَّ بَيْنَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا إِذْ وَقَعَتْ فِي
خُفْرَةٍ فَمَاتَتْ ^(١).

١٠٦- «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ»

عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ قَالَ: قُلْتُ لَأُمِّ سَلَمَةَ: يَا أُمَّ
الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ أَكْثَرُ دَعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَانَ عِنْدَكَ؟
قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ دَعَائِهِ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى
دِينِكَ» قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَكْثَرَ دَعَاكَ «يَا مُقَلِّبَ
الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ؟» قَالَ: «يَا أُمَّ سَلَمَةَ! إِنَّهُ لَيْسَ
أَدْمِي إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ،
وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ». فِتْلًا مَعَاذُ ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ
هَدَيْتَنَا﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٨] ^(٢).

(١) «صحيح مسلم»: ١٦١٠.

(٢) «مسند الإمام أحمد»: ٢٦٦٧٩، و«صحيح الترمذي»: ٣٥٢٢، و«أبو يعلى»: ٦٩٨٦، كلاهما بلفظه دون قوله: [فتلا معاذ] ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٨].

١٠٧- حُسْنُ الْخَاتِمَةِ

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ التَّقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ فَاقْتَتَلُوا، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَسْكَرِهِ، وَمَالَ الْآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ. وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ لَا يَدْعُ لَهُمْ شَاذَةً وَلَا فَادَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ.

فَقَالَ: مَا أَجْزَأُ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلَانٌ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ». فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ. قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ. قَالَ: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ، وَذُبَابُهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ.

فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ! قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟»

قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آفِئًا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ! فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ، ثُمَّ جَرَحَ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِي الْأَرْضِ وَذُبَابُهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلًا أَهْلِ الْجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلًا أَهْلِ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(١).

قال ابن رجب: وقوله: «فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ»، إشارة إلى أن باطن الأمر يكون بخلاف ذلك، وإن خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس، إما من جهة عمل سيئ لا يطلع عليه، أو من جهة اعتقاد سيئ ونحو ذلك، فتلك الخصلة الخفية توجب سوء الخاتمة عند الموت، ولذلك عمل الرجل عمل أهل النار وفي

(١) متفق عليه. «أخرجه البخاري»: ٢٨٩٨، و«أخرجه مسلم»: ١١٢.

باطنه خصلةٌ خفيةٌ من خصال الخير، فتغلب عليه تلك
الصلةُ في آخر عمره، فتوجب له حسنَ الخاتمة^(١).



تَمَّتْ بِحَمْدِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ

(١) «جامع العلوم والحكم»: ص ٧٤، تأليف: الفرج زين الدين عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد بن رجب الحنبلي، ٧٩٥هـ.



المصادر

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- ابن جرير: تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، متوفى ٣١٠ هـ.
- ٣- البغوي: تفسير البغوي (معالم التنزيل)، للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود، متوفى ٥١٦ هـ.
- ٤- القرطبي: تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، للإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، متوفى ٦٧١ هـ.
- ٥- ابن كثير: (تفسير القرآن العظيم)، للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، متوفى ٧٧٤ هـ.
- ٦- السعدي: تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر، متوفى ١٣٧٦ هـ.
- ٧- ابن حنبل: (العلل ومعرفة الرجال)، للإمام أحمد بن محمد ابن حنبل، متوفى ٢٤١ هـ.
- ٨- البخاري: الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، متوفى ٢٥٦ هـ.
- صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، (الأدب المفرد).
- ٩- المسلم: (صحيح مسلم)، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، متوفى ٢٦١ هـ.

- ١٠- ابن ماجه: (سنن ابن ماجه)، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، متوفى ٢٧٣هـ.
- ١١- الترمذي: سنن الترمذي (الجامع الكبير)، للإمام أبي عيسى محمد بن سورة متوفى ٢٧٩هـ.
- ١٢- النسائي: سنن النسائي (كتاب السنن الكبرى)، للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني، متوفى ٣٠٣هـ.
- ١٣- ابن حبان: صحيح ابن حبان (المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع)، للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، المتوفى ٣٥٤هـ.
- ١٤- الطبراني: (المعجم الكبير)، للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، متوفى ٣٦٠هـ.
- ١٥- الحاكم: (المستدرک على الصحيحين)، للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم النيسابوري، متوفى ٤٠٥هـ.
- ١٦- ابن بطلال: (شرح صحيح البخاري)، للإمام أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، متوفى ٤٤٩هـ.
- ١٧- البيهقي: الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين، متوفى ٤٥٨هـ.
- (دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة)، (السنن الكبرى).
- ١٨- ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله بن محمد النمري الأندلسي المالكي، متوفى ٤٦٣هـ، (فتح المالك بترتيب التمهيد على موطأ الإمام مالك)، تحقيق: مصطفى صميدة، (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد).



- ١٩- البغوي: (شرح السنة)، للإمام المحدث الفقيه أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء، متوفى ٥١٦هـ.
- ٢٠- التبريزي: (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح)، للإمام العلامة محمد بن عبد الله الخطيب، متوفى ٧٤١هـ.
- ٢١- ابن عبد الحكم: (سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه)، عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع، أبو محمد المصري، متوفى ٢١٤هـ.
- ٢٢- ابن أبي الدنيا: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان ابن قيس، الأموي البغدادي، متوفى ٢٨١هـ.
- (الصمت وآداب اللسان)، (النفقة على العيال)، (الصبر والثواب عليه).
- ٢٣- الآجري: (فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب)، أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان بن بسام المحولي البغدادي، متوفى ٣٠٩هـ/ ٩٢١م.
- ٢٤- ابن عبد ربه: (العقد الفريد)، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم الأندلسي، متوفى ٣٢٨هـ.
- ٢٥- الأصبهاني: (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء)، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله، متوفى ٤٣٠هـ.
- ٢٦- أبو الحسن: (أدب الدنيا والدين)، علي بن محمد بن حبيب الماوردي، متوفى ٤٥٠هـ.
- ٢٧- ابن حزم: (الأخلاق والسير في مداواة النفوس)، للإمام أبي

- محمد علي بن أحمد الأندلسي، متوفى ٤٥٦ هـ.
- ٢٨- أبو يعلى: (الأحكام السلطانية)، محمد بن الحسين الفراء الحنبلي، متوفى ٤٥٨ هـ.
- ٢٩- الخطيب البغدادي: الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، متوفى ٤٦٣ هـ.
- (تقييد العلم)، (تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها).
- ٣٠- الأزدي الأندلسي: (جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس)، للإمام أبي محمد ابن أبي نصر فتوح بن عبد الله الحميدي، متوفى ٤٨٨ هـ.
- ٣١- ابن عساكر: (تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واديها وأهلها)، للإمام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، متوفى ٥٧١ هـ.
- ٣٢- ابن الجوزي: الحافظ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي القرشي البغدادي، متوفى ٥٩٧ هـ.
- (سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد)، (عيون الحكايات)، (صفة الصفوة)، (اللطائف)، (الأربع في المواعظ والتواريخ)، (أخبار الحمقى والمغفلين)، (التبصرة)، (بحر الدموع).
- ٣٣- ابن خلكان: (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان)، لأبي عباس أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن أبي بكر، متوفى ٦٨١ هـ.



- ٣٤- ابن عذاري: (البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب)، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي، متوفى ٧١٢هـ.
- ٣٥- ابن تيمية: شيخ الإسلام أبو العباس تقي الدين الحراني، متوفى ٧٢٨هـ.
- (السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية)، (مجموع الفتاوى).
- ٣٦- الذهبي: (سير أعلام النبلاء)، للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، متوفى ٧٤٨هـ.
- ٣٧- ابن قيم الجوزية: الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.
- (الداء والدواء)، (روضة المحبين ونزهة المشتاقين)، (أعلام الموقعين)، (الطرق الحكمية في السياسة الشرعية)، (طريق الهجرتين وباب السعادتين)، (بدائع الفوائد).
- ٣٨- المقدسي: (الآداب الشرعية والمحسن المرعية)، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن مفلح الحنبلي، متوفى ٧٦٣هـ.
- ٣٩- الصفدي: (الوافي بالوفيات)، لصاح الدين خليل بن أيبك، متوفى ٧٦٤هـ.
- ٤٠- الياضي اليمني: (روض الرياحين في حكايات الصالحين)، للإمام أبي محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان المكي، متوفى ٧٦٨هـ.
- ٤١- ابن كثير: (البداية والنهاية)، للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، متوفى ٧٧٤هـ.



٤٢- عبيد الضرير: (نزهة الناظرين في الأخبار والآثار المروية عن الأنبياء والصالحين)، للإمام تقي الدين عبد الملك بن علي بن المنى البابي الحلبي الشافعي، متوفى ٨٣٩هـ.

٤٣- ابن حجر: (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة)، للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، متوفى ٨٥٢هـ.

٤٤- الألبهسي: (المُسْتَظَرَف في كل فنٍّ مُسْتَظَرَف)، للإمام العالم شهاب الدين محمد بن أحمد، متوفى ٨٥٢هـ.

٤٥- السخاوي: (التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة)، للإمام محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين، متوفى ٩٠٢هـ.

٤٦- الجلال السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري، متوفى ٩١١هـ.

(الإتقان في علوم القرآن)، (حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة).

٤٧- السمهودي: (خُلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى)، للإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسن، متوفى ٩٢٢هـ.

٤٨- الشعرائي: (تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر)، للإمام أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد ابن علي الشافعي المصري، متوفى ٩٧٣هـ.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة المؤلف.....	٥
١- سُوقُ الْإِخْلَاصِ.....	٧
٢- كِتْمَانُ الْعَمَلِ أَفْضَلُ مِنْ إِظْهَارِهِ.....	٨
٣- امْرَأَةٌ أَعْظَمُ بَرَكَهً.....	٩
٤- اللِّسَانُ وَالصَّمْتُ.....	١١
٥- فَضْلُ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه	١٢
٦- «فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ».....	١٣
٧- فَرٍّ مِنَ النَّاسِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ.....	١٤
٨- اجْتَهَدَ بَعْضُهُمْ.....	١٥
٩- أَخَافُ أَنْ يَجْنِيَّ عَلَيَّ حُمَقِي.....	١٦
١٠- السَّعَادَةُ النَّامَةُ.....	١٧
١١- سُوقُ إِلَى الْأَوْطَانِ.....	١٧
١٢- فَلَا تُطِيلِ الْقُعُودَ عِنْدَهُ.....	١٨
١٣- لَمْ أَرْحَلْ لِأُبْصِرِ الْفَيْلَ.....	١٩
١٤- إِنَّمَا أَبْكِي لِأَنِّي لَمْ أَتَفَقَّدْ حَالَهُ.....	٢٠

- ١٥- السُّلْطَانُ مَحْمُودٌ سُبُكْتِكِين..... ٢٠
- ١٦- زُهِدَ الْإِمَامُ مَالِكٌ ﷺ..... ٢٥
- ١٧- حَتَّى شَاءَ اللَّهُ لَهَا..... ٢٦
- ١٨- ورع الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز..... ٢٧
- ١٩- أَتَرُونَهُ لَوْ زَادُوهُ فَعَلَ..... ٢٨
- ٢٠- أَنَا أَحَقُّ بِالْحَيَاءِ مِنْ رَبِّي..... ٢٩
- ٢١- فَاقْضُوا عَنْهُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ..... ٣٠
- ٢٢- فَضَّلُ الْعِلْمَ وَشَرَفُهُ..... ٣٠
- ٢٣- مَا أَتَيْتَ فَاحِشَةً وَمَا هَمَمْتَ بِهَا..... ٣٢
- ٢٤- يَا أَخِي! أَمَرْتَنَا بِخَيْرٍ فَأَطَعْنَاكَ..... ٣٣
- ٢٥- خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا..... ٣٤
- ٢٦- هَلَا أَحْدَثَ امْرَأَةٌ غَيْرَهَا..... ٣٨
- ٢٧- «يُسْتَخْرَجُ بِالنَّدْرِ مِنَ الْبَخِيلِ»..... ٤٠
- ٢٨- «فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ آدَى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الْخَشْيَةِ»..... ٤١
- ٢٩- إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَأَنْتَ حُرٌّ..... ٤٣
- ٣٠- يَرْزُقُهُمْ عَلَى كَثْرَةِ عَدَدِهِمْ..... ٤٤
- ٣١- قَسَمَ الْأَعْمَالُ كَمَا قَسَمَ الْأَرْزَاقُ..... ٤٤
- ٣٢- لَا أَذْرِي..... ٤٦
- ٣٣- فَلَمْ أَذِرْ مَا أَقُولُ..... ٤٧

- ٣٤- دِيَوَان، دِيَوَان..... ٤٨
- ٣٥- مَرْحَبًا بِنَسَبٍ قَرِيبٍ..... ٤٩
- ٣٦- اجْلِسْ مِنِّي قِيدَ رُمْحٍ..... ٥١
- ٣٧- لَا يَحْمِلُوا أَحَدًا بِلِجَامٍ ثَقِيلٍ..... ٥٢
- ٣٨- الْحَقُّ مَعَكَ..... ٥٢
- ٣٩- فَأَصَابَ فَاحِشَةً، أَثِمَ الْأَبُ..... ٥٣
- ٤٠- فَهِيَ وَاللَّهُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الرَّفْضِ..... ٥٤
- ٤١- قَلْبٌ فِيهِ خَوْفُ الْفَقْرِ..... ٥٥
- ٤٢- «مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ»..... ٥٧
- ٤٣- «اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ»..... ٥٨
- ٤٤- وَأَنْتَ تَزْهَوُ بِاللَّهْوِ وَاللَّعِبِ..... ٥٩
- ٤٥- فَلَمْ أَرِ أَحَدًا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ رَأَاهَا غَيْرُكَ..... ٦٠
- ٤٦- حَادِثُهُ نَبَشٍ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ..... ٦٢
- ٤٧- جِزَاءٌ مِنْ اتَّقَصَّ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ..... ٦٦
- ٤٨- مَا خَلَا الشَّرْكَ..... ٦٧
- ٤٩- إِنَّمَا أَوْصَلَهُ إِلَى ذَلِكَ مُخَالَفَةُ هَوَاهُ..... ٦٧
- ٥٠- فَوَاللَّهِ، لَا أُؤْذِيكَ..... ٧٠
- ٥١- مَا خَرَجَ هَذَا إِلَّا مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نُبُوَّةٍ..... ٧١
- ٥٢- لَوْ رَأَيْتُ فِي الْجَزَعِ مُدْرَكًا مَا اخْتَرْتُ عَلَيْهِ..... ٧٢

- ٥٣- فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب..... ٣٧
- ٥٤- لَأَن أُنْدَمَ فِي الْعَفْوِ..... ٧٦
- ٥٥- مَرَارَةُ الصَّبْرِ..... ٧٧
- ٥٦- لا ولكن يعذبك على خلاف السنة..... ٧٨
- ٥٧- الْمُلُوكُ قَصْدُهُمُ الدُّنْيَا..... ٧٩
- ٥٨- حَتَّى بَصِيرٍ لَا يَعْرِفُنَا وَلَا نَعْرِفُهُ..... ٧٩
- ٥٩- لِمَاذَا سَقَطَتْ قُرْطُبَةٌ؟..... ٨٠
- ٦٠- «ظَهَرَ الْفَسَادُ»..... ٨١
- ٦١- لَوِدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعَصَّدُ..... ٨٣
- ٦٢- سبب توبة مالك بن دينار..... ٨٣
- ٦٣- «أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ»..... ٨٧
- ٦٤- مَا يُفْسِدُ الْأَدْيَانَ..... ٨٨
- ٦٥- طُوبَى لِعُثْمَانَ بَاشَا (عُثْمَانُ بَاشَا الْأَعْرَج)..... ٨٩
- ٦٦- فُتِحَتْ لَهُ الْمَغَالِيقُ..... ٩١
- ٦٧- «مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى»..... ٩٢
- ٦٨- وَهَبَ اللَّهُ لِي الْعَافِيَةَ..... ٩٣
- ٦٩- فَعَلَبَ عَلَى كُلِّ طَبْعٍ أَهْلُهُ..... ٩٤
- ٧٠- مِنْ قَضَاءِ دَيْنِكَ..... ٩٦
- ٧١- «وَمَا كُنَّا نَقُولُ إِلَّا: الْمُدْيَةُ»..... ٩٧



- ٧٢- فِي آخِرِ الزَّمَانِ..... ٩٨
- ٧٣- يَوْمَ «لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْدَرَتُهُمْ»..... ٩٩
- ٧٤- فَعَلِمَ بِذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ ذَنْبِهِ..... ١٠٠
- ٧٥- مَاتَتْ قُلُوبُكُمْ فِي عَشْرَةِ أَشْيَاءَ..... ١٠١
- ٧٦- وَتَابَ الرَّجُلُ وَلَمْ يَعُدْ إِلَى مَا كَانَ..... ١٠٢
- ٧٧- عِظْنِي بِمَا رَأَيْتَ..... ١٠٤
- ٧٨- فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ أَخَذَهُ كُلُّهُ..... ١٠٥
- ٧٩- حَذَرَ مِنَ الْأَزْوَاجِ وَالْأَوْلَادِ..... ١٠٦
- ٨٠- احْذَرْ لَا يَرَوْنَكَ..... ١٠٧
- ٨١- سَيِّمَاءُ حَسَنَةٌ..... ١٠٧
- ٨٢- لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ..... ١٠٨
- ٨٣- نَشَاطٌ فِي الْعِبَادَةِ..... ١٠٩
- ٨٤- «وَأَنَّ دِينَنَا قَدْ طَابَ»..... ١٠٩
- ٨٥- مَلَأَ الْقُلُوبَ..... ١١٠
- ٨٦- الْحَاجِبُ الْمَنْصُورُ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
- ابْنِ عَامِرٍ بْنِ أَبِي عَامِرٍ الْمَعَاوِرِيُّ..... ١١١
- ٨٧- مُنِعَ قَفِيزٌ وَدِرْهَمٌ مِنْ قَبْلِ الْعَجَمِ..... ١١٧
- ٨٨- الْعَابِدُ التَّقِيُّ أَبُو بَكْرٍ النَّابُلُسِيُّ..... ١٢١
- ٨٩- الْمُقَاصَلَةُ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعَلِيٍّ ﷺ..... ١٢٢

- ٩٠- شَاهِ جِهَانَ شَهَابِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ..... ١٢٣
- ٩١- عبد الله بن المبارك..... ١٢٦
- ٩٢- أنفع الكلام..... ١٣٠
- ٩٣- حمل الدقيق ليلاً..... ١٣١
- ٩٤- إذا تخاصموا لم يتجاوزوا..... ١٣١
- ٩٥- رغبت إليها لتزداد عزاً..... ١٣٢
- ٩٦- نُقِضَ الْعُهُودُ..... ١٣٣
- ٩٧- احذر الغلول..... ١٣٥
- ٩٨- فِي آخِرِ الزَّمَانِ..... ١٣٨
- ٩٩- نَاحُوا عَلَى خَرَابِ الدِّيَارِ..... ١٣٩
- ١٠٠- «وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»..... ١٤٠
- ١٠١- «ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»..... ١٤٠
- ١٠٢- خَتَمَةُ الْقُرْآنِ..... ١٤١
- ١٠٣- أَيْنَ مَنَزِلِي فِي الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ؟..... ١٤٢
- ١٠٤- فَإِنَّا عَلَىٰ إِثْرِكَ مَا صُورَ..... ١٤٤
- ١٠٥- لَا أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا..... ١٤٤
- ١٠٦- «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ»..... ١٤٥
- ١٠٧- حُسْنُ الْخَاتِمَةِ..... ١٤٦
- المصادر..... ١٤٨
- الفهرسُ..... ١٥٤

